المشرق

# خطبة لخميس الاسرار

بقلم القس شمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر

## توطئة

زرنا في اواخر آب من السنة ١٩٠٩ مكتبة البطريركيَّة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة في القاهرة فوجدنا في ناظرها أُنسًا وتفقّدنا ما في خزائنها من المخطوطات النصرانيَّة القديمة . فمن جملة ما كان هناك مجموعة فيها خطب قديمة للاعياد السنوية بينها بعض الخطب لاحد مشاهير الكتبة الاقباط القس شمس الرئاسة ابي البركات بن كبر فاستحسنّا لهجتها الفصيحة وانشاءها البليغ من جملتها هذه الخطبة لخميس الاسرار احببنا نشرها بنسبة الاعياد الفصحيَّة . وقد وجدناها بعد ذلك في مجموع خطب عُني بطبعهِ الشماس حبيب جرجس سنة ١٩١٤ تحت عنوان الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة ( ص ٨٩—٩٣ ) عثرنا فيها على بعض الاغلاط فاصلحناها

امَّا صاحب هذه الخطبة فيُدعى في صدر كتاباتهِ المخطوطة باسماء والقاب جليلة تدلّ على تعظيم اهل زمانهِ لهُ فيسمّونهُ « المولى الرئيس الشيخ والاب الفاضل القس رشيد المتطبّب ابا البركات شمس الرئاسة ابا الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كُبْر » ويروى كِبِر . ولم نجد مع فخامة هذه الالقاب من يفيدنا شيئًا عن اخبارهِ في كلّ ما راجعنا من التآليف المطبوعة والمخطوطة . وغاية ما نعلم انه ازهر في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح . وكتب للامير بيبرس المنصوري الدوادار الكبير وتعاطى الطبّ وتوفيّ سنة ١٣٦٣ . ولهُ في آخر بعض كتبهِ قولهُ :

امُوتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُهُ    فيا ليتَ من يقرا كتابي دعا ليا
لعلَّ الهي ان يجود بعفوهِ    ويغفرَ زلّاتي وقُبحَ فِعاليا

وامَّا تآليفهُ المعروفة فقد وصفنا منها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٦٠ ) كتابهُ المعنون بمصباح الظلمة وايضاح الخدمة وهو من أَجلّ الآثار الدينيَّة في الفقه الكنسيّ . وقد وصفنا كذلك لهُ كتابًا آخر (ص ٧٦١) اسمهُ «جلاء العقول في علم الاصول الملقَّب بكشف الاسرار الخفيَّة في اسباب المسيحيَّة» في ١٨ فصلًا تاريخ تأليفهِ سنة ١٣٢٦م . ولهُ ايضًا كتاب في تفنيد

القائلين بالقدر والمُبطلين الماريَّة الّفهُ سنة ١٣٣٣ . والف ايضاً خلاصة معتقد الملّة المسيحيّة وردوداً على اليهود والمسلمين. ومن تصانيفهِ في اللغة القبطيّة كتاب السُلّم الكبير او السلّم المقفّى وضعهُ سنة ١٣١٦ وضمّنهُ مفردات اللغة القبطيّة في عشرة ابواب و ٣٢ فصلاً مع شرحها في العربيّة (cfr Mélanges de la Fac. Orientale, 1907. II. 260-266) ل . ش

## خطبة لعيد خميس العهد

## تتضمّن تأسيس سرّ الشكر (١

الحمدُ لله مجدّد شريعة الكمال ، ومبدّد زريعة (٢ الضلال ، وموضح مناهج الفضل والإفضال ، ومرشد المؤمنين الى أصلح الاعمال ، ولابنهِ الوحيد يسوع المسيح الذي اخرجنا من ظُلمات الطغيان ، واقبل بنا الى نور الحقّ والايمان ، واظهر لنا من غوامض الاسرار الالهيّة ما كان مستوراً عن العيان ، وخوّلنا معشرَ المسيحيين ما لم يخطر بفكر انسان ، وبذل نفسهُ دوننا فابتاعنا بأنفس الاثمان ، ورفعنا من هوّة الهلاك الى رتبة الحياة فيا لذلك من إحسان ، كيف لا وهو حملُ الله الحقيقي الذي فدانا نحن الخطاة بذبحهِ (يوحنا ١ : ٢٩) ، وأحيانا بموتهِ عنّا فيا لعظيم مَنحهِ ، وجدّد لنا عربونًا لخلاصهِ على يدي رُسلهِ الاطهار رسم موهبتهِ وسُنّة فِصحهِ . وأعطانا جسدهُ ودمهُ القدّسيْن علامةً لنُصحهِ (٣ ، ونقض حاجز العداوة الاولى بسلامهِ وصلحهِ ، وامرنا تجديدًا لعهدهِ ان نصنع كلّ وقتٍ تذكارًا لاسمهِ (لوقا ٢٢ : ١٩) الى حين موافاتهِ ، ومجيئهِ الثاني على سُحُب سمائهِ في أُلوف ملائكتهِ وقواتهِ (١ كور ١١ : ٢٦) ، حسب وعدهِ في انجيلهِ المجيد (متى ٢٦ : ٦٤) ، فلهُ التسبيح والتمجيد

معشر المسيحيين الذين وصلوا الى هذه المواهب ، وأُخرجوا الى النور المُشرق من ظُلم الغياهب ، وحصلوا على موهبة العهد الجديد ، واشتُروا بدم الابن الوحيد ، وصار لهم العتق من عبوديّة المحال ، والارتقاء الى اسنى المراتب واشرف الحال ، واشتركوا معهُ في البنوّة الحقيقيّة (٢ بطرس ١ : ٤) ، كما اشترك هو معهم في الطبيعة البشريّة ،

١) وفي الطبعة المصريّة « نيرّ الشكر » وهو تصحيف قبيح . واراد بسرّ الشكر القربان الاقدس كأنه تعريب اللفظة اليونانيّة « افخارستيا » ٢) وفي الطبعة المصريّة « ذريعة » ٣) وفيها « لفصحهِ »

واتصلوا بالذات العالية الالهيّة، باتصاله سبحانهُ بالجبلّة الآدميّة

هذا يومٌ جُدّدت فيهِ العهود، يومٌ أُذهِبَ فيهِ رسمُ الفِصح السِّيدي حُكمَ فصح اليهود، يوم كمّل الربّ فيه السنّة الاولى المدليّة، وابتدأ بوضع السنّة الثانية الفضليّة، يوم أُبطل فيهِ فصح الذبائح والضحايا، وجعل فِصحنا جسدهُ الذي بذلهُ لمغفرة الخطايا، يومٌ ازال فيهِ قُتار اللحوم والدماء الحيوانيّة، وأعطانا بجسدهِ ودمهِ القرابين الروحانيّة، اليوم سنّ لنا ربُّ المجد تقريب الخبز والخمر الذكيّ (١)، واغنانا عن دماء الجِدا، والمعجول بجذمهِ الزكيّ، مشيراً بالخبز الى انهُ خبز الحياة الذي يُشبع الجياع، وبالخمر الى انهُ كرمةُ الحقّ المتعالية عن ملابسة الازدراع، اليوم عوّضنا عن فطير المرارة والشرارة، خميرَ المحبّة والطهارة (٢)، اليوم سلّم الينا النواميس العقليّة، بواسطة الامور الحسيّة، وجعل الكثيف، وسيطاً للطيف، لملاءمتهِ للأبدان الانسيّة، اليوم سلّم رئيس الاحبار خدمة الوظيفة الحبريّة الى الزمرة الحواريّة، اليوم تولّى الربّ بنفسهِ خدمة رُسلهِ، وتنازل الى ارجلهم (٣) بغسلهِ، واراهم مثالاً ليقتدوا بفعلهِ، ويفعلوا كمثلهِ،

فيا لهذا التفضّل الذي تقصر الالسن عن صفاتهِ، ويا لهذا التواضع الذي بلغ من التدبير السعيد اقصى غاياتهِ، يا لهُ من تمخّن ما اعظمهُ، ويا لهُ من سيّد على العبيد ما اكرمهُ، ويا لهُ من مسلك الى الحياة ما أقومهُ

ما اعظمَ هذه القضية التي رسمها لنتّخذها مثالاً، وما اعظم التواضع الذي امر بهِ مقالاً، واكملهُ (٤) فعالاً، واذا كان هذا فعلَ ربّ المجد جلّت قدرتهُ، وتعالت عظمتهُ، فكم بالحري يجب علينا ان نبذل الودّ لاخوتنا، والتواضع مع ابناء طبيعتنا (يوحنا ١٣: ١٤)، وما عسانا نفعلهُ ونحنُ المقصّرون، او ننتهي الى بلوغهِ في هذا السبيل ونحن السالكون، فلو شربنا الامواه التي تُغسَل بها الاقدام، وجعلنا دأبنا ذلك على الدوام، وبسطنا الخدود لمن يطأها، وبذلنا الوجوهُ لمن يلطمها ويتخطّاها، لما بلغنا في ذلك المقصود، ولا ما ثلنا سيّدنا لهُ المجد في الفضل والجود،

---

١) وفي الطبعة المصريّة «الزكيّ» بالزاي

٢) في هذا اشارة الى استحضار القربان في الكنيسة القبطيّة على شكل الخبز. وفي رسائل مار بولس ما يدلّ على فضل الفطير (١ كور ٥: ٢-٨) ٣) في النسخة المصريّة: تناول ارجلهم

٤) وفيها «وكملهُ»

فهلمّوا أيها الاخوة لنتأمل افعال الرب في هذا العيد ، ونتصفّح اعمالهُ الجيدة في مثل هذا اليوم السعيد، ونتفهّم ما ارادهُ من سلوكنا في سُبلِهِ، واقتفائنا لمثلهِ (١ ، بحسب امكان طاقتنا، ومقدار وُسع قُدرتنا، ونجعل التواضع لنا مسلكاً ومنهاجاً ، والمحبّة في سُبلنا نورًا وسراجاً، ولنغسل قلوب اخوتنا بماء المودّة، ولتكن الرحمة اليهم دائماً مصروفةً مستعدّة، لكي نرحض من البواطن دَرَن افكارها، ونزيل من الضمائر غلّ اسرارها، ونحظى بسعادة هذا الشبه والمثال، وننال ما وُعدنا بهِ من شرف المنال، ولنجتهد في تقويم سُبلنا، واصلاح قولنا وعملنا، والإقلاع عن خطايانا وزلّلنا، ولننزع عن مناكبنا جلابيب الكبرياء، وأردية التعاظم والرياء، ونشدّ اوساطنا بمناطق العزائم، ومناديل الاقلاع عن المآثم، ونصبّ مياه الرحمة في مَطاهر اكفّ المحتاجين ، ونبادر بالتفتيش عن المتضايقين ، ونجدّد شعار التوبة البريئة من الشبهات، العريّة من الشهَوات، النقيّة من معاودة الهَفوات ، كما جدّد لنا ربّنا شرائع ناموسهِ، وأعلمنا وظائف تسبيحهِ وتقديسهِ،

ولنتأهّب لتناول هذه الاسرار (٢ الروحانيّة ، مستعدّين بملء القلب وكلّ النيّة ، ولا ندنُ من هذه المائدة النيريّة السّريّة ، والوليمة الشريفة الالهيّة ، ونحن ملوّثون بأوساخ الخطيّة ، او مشتغلون بالافكار الدنيّة الدنيويّة ، او مُضمرون لاخوتنا بل ولأعدائنا عداوةً ولا بغضاً، او مُكرمون بعضاً ومُهينون بعضاً ، او راغبون في الشَّرَه او حبّ المال ، او عاملون بشيءٍ من هذه الاعمال، لئلّا يُصيبنا ما اصاب يهوذا الدافع ، ونُحرَم مما حواهُ هذا الدواء الروحاني من جزيل الفوائد والمنافع، ولا نقتصر على عدم الانتفاع بهِ فقط بل ونجلب على نفوسنا ضررًا عظيماً مقدارُهُ، وشجباً شديدةً اوزارُهُ وعذاباً أليماً دودُهُ ونارهُ ، ودينونةً مهلكةً لنفوسنا واجسادنا ، ونارًا محرقة بَكرة ميلادنا ، بل لنجتهد في اصلاح البواطن والظواهر، وتنقية الخواطر والضمائر، وتطهير السرائر قبل تناول السّرائر، ونبذل لبعضنا بعضاً المحبّة الصادقة، ونذبح نفوسنا ذبيحةً ناطقة ، ونتقدّم بعد ذلك لتناول جسد ربّنا ودمهُ المقدّسين بواسطة كهنتهِ ، وطلباتهم المقبولة امام رحمتهِ، راجين بهِ مغفرة الآثام السالفة، وشركةً في الحياة المستأنفة، فنحصل على الخيرات المتيدة ، والصِلات

---

١) وفي النسخة المصريّة «لمثلهِ» ٢) وفي النسخة المصريّة : هذه السرائر

المفيدة، اعاننا الله واياكم على الاعمال المبرورة، والمساعي المشكورة، والاخلاق الحميدة، والمناهج السديدة، وبلّغكم امثال هذا اليوم سنين عديدة واعواماً مديدة، مغفورة لكم الذنوب والآثام، مخصوصين من سعادة الدارَين باجزل الأقسام (١، بشفاعة الرسل الاطهار الذين عهدوا الينا هذه الوصايا، واقتادونا الى مغفرة الخطايا، واستحقُّوا ان ينالوا عظم هذه العطايا، بصلوات ابينا ورئيسنا المؤتمن على خلافتهم، المرتقي الى رتبتهم المخصوص بوراثتهم، الجالس على الكرسي المرقصي، الحاكم على الشعب الرسولي الداني والقصيّ، البابا انبا فلان (٢ ادام الله تدبيرهُ، ورفع في اعلى الملكوت سريرهُ، وجمّل ببقائهِ الاعياد المسيحيّة، والمواسم الفصحيّة، ورحم بصلواتهِ ابناء المعموديّة، امين

# ميمر في عيد الفصح

## منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكيّ

### توطئة

بين المخطوطات التي سبق لنا وصفها في جملة ميامر القديسين ومواعظهم (المشرق ٨[١٩٠٥]: ٤٢٥ و٤٧١) مجموعان قديمان يشتملان على خطب للآباء القديسين تُقرأ في اخصّ الاعياد المسيحيّة. وفي كليهما ميمر في عيد الفصح ينسب الى القديس يوحنّا فم الذهب وهو معرَّب بقلم عبدالله بن الفضل الانطاكي من كتبة القرن الحادي عشر للمسيح (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٨٦ و٩٤٤). وهو كما ترى اثر نفيس يحسن بنا نشرهُ. وكفى به شأناً انَّ الكنيسة الملكيّة اصطفتهُ ليكرَّر على مسامع المؤمنين في ذاك العيد الجليل. ولقد راجعنا اعمال القديس يوحنّا فم الذهب اليونانيّة فوجدناهُ هناك في مجموعات آباء اليونان لمين (PP. GG., L, 821-824) الاَّ انّهُ مدرج في جملة ما لم تثبت نسبتهُ الى القديس بين التآليف المشكوك فيها لولا انَّ متولّي طبعها لا يؤيّد قولهُ ببرهان صريح وعلى كل حال انَّ وجودهُ في العربيّة منذ نحو ٩٠٠ سنة منسوباً الى ذاك الملفان العظيم يدفعنا الى نشرهِ في عيدنا الحاضر لئلاَّ تأخذهُ يد الضياع. وبين النسختين اللتين نقلنا عنها اختلاف قليل لم نرَ موجباً الى الاشارة اليه الاَّ في بعض المواضع ل. ش

١) وفي النسخة المصريّة «باجذل» بالذال   ٢) في النسخة المصريّة «انبا كيرلُس» اراد به البطريرك الحالي. ولفظة البابا شاعت قديماً في الكنيسة الاسكندريّة بمعنى البطريرك

# ميمر في الفصح الجديد

## لابينا الجليل في القديسين يوحنّا الذهبي الفم

### رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيّة

افرحوا يا اخوتي واحبّائي بالربّ دائمًا واقول ايضاً افرحوا. الربّ قريب فلا تهتمّوا بشي. (فيلبي ٤ : ٤) . قام الربّ من بين الاموات ومعهُ جمعٌ قديسين كثيرين . فلنعيّدنّ إذًا عاجلًا تعييدًا لذيذًا ورغدًا (١ لأنّهُ هـذا اليوم حقًّا الذي صنعهُ الرب فلنجذلنّ ولنُسَرّنّ فيهِ (مز ١١٧ : ٢٤) ولْنُشيدنّ بقيامة مخلّصنا ولنهتفنّ بخلاصنا ولنذيعنّ بإماتة المحال وبنَفي الجنّ الرَّجسين وبخلاص المسيحيين وبانشور اللاتين لانّ بقيامة المسيح تنطفئ نار جهنّم ويموت الدود الذي لا يرقد (مرقس ٩ : ٤٣) والجحيم يُغلق وابليس ينوح والخطيئة تموت وارواح الخبث تتنطّر والذين من الارض يعودون الى السماء والذين في الجحيم يُعتَقون من قيود المحال. ويهربون الى الله قائلين للمحال : «اين شوكتُك يا موت واين غلبتُك يا جحيم» (١ كور ١٥ : ٥٥)

لكنّ سبب عيدنا المقدّس ومحفلنا الحاضر هو المسيح الذي هو لنا علّة كلّ الامور الحسنة لانهُ كما جبلنا منذ البدء من حيث لم نكن هكذا صنع معنا الآن نحن الهالكين فخلّصنا واللاتين فأحيانا وأنقذنا من جَور المحال واذ كنّا عبيدًا للخطيئة اصبحنا احرارًا ومحا الصكّ الذي كتبناهُ بأيدينا علينا (كولسّي ٢ : ١٤) لانّ المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس صائرًا من أجلنا لعنةً (غلطية ٣ : ١٣)

تلك هي الامور التي توجب علينا ان نقول عوضاً عنها : بماذا نكافئ الربّ عن كلّ الاشياء التي كافأنا بها (مز ١١٥ : ١٢) فانّهُ وهو لم يزل إلهًا ارتضى ان يكون من اجلنا انسانًا وصار متواضعاً (٢ حتى الموت كي يفتدينا من الموت الابديّ فبدّ الملائكة لبس صورة عبدٍ (فيلبي ٢ : ٧-٨) . وكلمة الله اتّخذ جسدًا (يو ١ : ١٤) والمساوي للآب المديل جوهرهِ (عبر ١ : ٣) صار انسانًا. وهذه الامور تصيّرها كي يخلّصنا من العبوديّة الطالمة ويفتدينا من الهوان . من اجل هـذا رضي رازقُ حياتنا

١) ورد في النسخة A وهي اقدم النسختين : لذيذًا ورادعاً

٢) في النسخة A : صار مطاوعاً

ان يتألّم جسدهُ المقدَّس . لاجل هـذا دُفن ينبوع البقاء لكي يهب للمائتين حياةً ازليةً وقد أحسن الى اهل الارض وشفى آلام الناس فاستوفى المكافأة من اليهود المنازدين الله بما لم يكن لهُ اهلاً

لأنَّ ربَّنا يسوع المسيح من اجل كثرة خيريَّتهِ كان يطهّر البُرص ويهب النظر للعميان ويشفي العُرج ويطرد الجنّ واستنهض العازر من القبر بعد اربعة أيام وأشبع من خمس خبزات خمسة آلاف ومشى على البحر وأحال الماء خمراً وشفى النزيف دمها وأحيا ابنة رئيس المجمع بعد وفاتها وصنع اسرارًا أُخر كثيرة اهلاً للتعجب. فامّا اليهود فحملهم الحسد والغيرة فتارةً راموا ان يرجموهُ ومرّةً حاولوا ان يُكردسوهُ (لوقا ٤ : ٢٩) واخيرًا رفعوهُ على الصليب لكنَّ ربَّنا يسوع المسيح لم يتشبَّه بشرّ اليهود المجدفين بل بحسب قول النبيّ (اشعيا ٥٠ : ٦) : «بذل نفسهُ للسياط وخدَّهُ للطمات ولم يردّ وجههُ من خزي البصاق» وقولهِ: «وسيق اخيرًا مثل الخروف الى الذبح ومثل الحمَل بين يدي من يجزّهُ بغير نُطق غير مقاوم وغير مجاوب» (اشعيا ٥٣ : ٧) مفترًى عليهِ ولم يردّ الافتراء بمعاثر السوء ولم يتهدَّد دافعاً نفسهُ الى الحكم (١ بطرس ٢ : ٢٥) لأنهُ لم يأتِ في ورودهِ الاوَّل ليعاقب ويعذّب الكفّار بل آثر ان يرشد بطول الاناة والصبر الضالّين الى الحياة (١

واعتبرْ خيريَّة الربّ وصلاحهُ فانَّ اليهود كانوا يجدّفون عليهِ قائلين: «انَّ بك شيطاناً» (يو ٧ : ٢٠) وامّا هو فلطول اناتهِ كان يطرد الجنّ (٢ من الناس . وكان اليهود يبصقون على المخلّص وهو يشفي امراضهم . كانوا يحاولون رجمهُ وهو يهب للعُرج منهم المشيَ . ونهاية كلّ الامور انهُ كان محسناً الى المفترين عليهِ مانحاً اولئك القليل شكرهم والناس الطغين عوضاً عن الشرور خيراتٍ محتملاً الفريّات بالصبر على الضرّ ولعلّهُ كان مظنوناً بهِ انهُ يقصر عن المجازاة مع انّ الملائكة تخدمهُ . ولئلا أُسهب المقال فلنتقبلنْ الى اصول الامور انفسها لكنَّهُ في آخر الامر سيق ملك المجد الى الصليبَ والموت وسُمّر المسيح على خشبة مَنْ تسجد لهُ الشاروبيم والساروفيم مع

---

١) وفي نسخة A : الى الحقّ

٢) وفي احدى الروايتين : بطول روحهِ كان يضطهد الجنّ

كلّ القوى اللاّئكيّة . وهذه الاشياء حلّت به وهو حليم وديع مانحاً ايّانا انموذجاً فصار معلّماً للحلم والدعة

فمن اجل هذا يجب علينا ان نحتمل بشجاعة توعّد الناس الجبناء. لأنّ سيّدنا يسوع المسيح لمّا عُلّق على الصليب اوضح اعمالاً وعجائب اكثر من تلك واعظم منها فهدأ هكذا هيجان المقرّبين لكي لا يكون لهم علّة في الكفر ولا يقولوا «صلبنا انساناً محضاً» . وقد احتمل المسيح الصليب ورُفع في الهواء لكي يطرد الجنّ الذين في الهواء . وعُلّق على خشبة لكي يشفي الخطيئة الصائرة قديماً للناس بالخشبة . وطُعن جنبُهُ بحربة من اجل المرأة التي أُخذت من جنب آدم ثم خدعتها الحيّة فصيّرت حوّاء آدم ان يعصي وخرجت القضيّة على كليهما وتملّك الموت منذ آدم حتّى موسى وحلّ على الجميع حتّى الذين لم يخطأوا (رومية٥ : ١٤) فمن اجل هذا طُعن جنب المسيح ولنعلم بهذا انّ الآلام لم تسبّب خلاصاً للرجال فقط بل للنساء ايضاً لأنّ آدم جُبل اوّلاً ثمّ حوّاء. فامّا آدم فلم يُخدَع بل المرأة خُدعت وصارت في العصيان لكنّها خلصت بتناسل اولادها ولاسيّما بإنسالها ولدها مريم لأنّ هذه الطاهرة ولدت المسيح المخلّص ولم تخالط رجلاً كما شهد اشعيا النبيّ (٧ : ١٤) بل ظلّلها الروح القدس كما قال رئيس اللائكة جبرائيل مبشّراً (لوقا١ : ٣٥)

فمن اجل هذه القضية اذاً التي قُضيت علينا طُعن جنبُ المسيح كي يدبّر الامور المقدّم ذكرها . واشار ايضاً بذلك الى العموديّة التي بها تُشرق النعمة الجديدة لأنّ المسيح أنبع من جنبه دماً وماء ليمحو بهما صكّ الخطيئة ونتطهّر بدمه ونتسلّق الفردوس فيا له من سرّ ما اعظمه ! . فلمّا تاب اللصّ وكانت تضطرّ الحاجة الى ان يصطبغ (١ وكان الربّ معلّقاً على الصليب ولم يكن للعموديّة حالة أخرى لا عين ولا بُحيرة ولا مطر ولا مَن يكمّل خدمة السرّ لأنّ التلاميذ كانوا هربوا لاجل خوف اليهود لكنّ يسوع احضر من جنبه دماً وماء كي يعتق اللصّ من الآثام التي ارتكبها فأوضح انّ دمهُ فداء للمتوكلين عليه لأنّه «ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة

---

١) هذا من باب التصوّر لا من باب الضرورة فان السيّد المسيح امكنهُ ان يمنح اللصّ الخلاص دون معموديّة . ومن المعلوم انّ معموديّة الشوق تنوب عن معموديّة الماء

يُنضَح على المتنجسين فيطهّرهم نحو ... الجسد فكم الاحرى بدم المسيح مخلّصنا ان يصير طهرًا لكافة المسيحيين معاً (عبر ٩ : ١٠)

وان يَقُل لك احد الكفرة: لِمَ صُلب المسيح؟ فأجِبهُ: لكي يُصلَب الشيطان. وان يَقُل: لِمَ عُلّق على خشبةٍ فنجيبهُ: لكي يخلّصنا من الخطيئة الصائرة في الفردوس بالخشبة. وان يقل لك: ولِمَ كُلل بالشوك؟ فأجبهُ: لكي يستأصل شوك آدم وقُرطبهُ لأنهُ شُجب فحُكم عليه بان يفلح شوكاً وقرطباً. وبما انَّ يسوع عبَّ للبشر شاء ان يعتني بخليقته فصبر على كلّ سوء من اجلنا لكي يعتقنا من العقوبة. لأنهُ كما وُلد من امرأة عذراء لكي يمحو الخطيئة الصائرة للناس من امرأة كذلك كُلِّل بالشوك ليجعل الارض التي فُلحت من المعصية فلاحةً رديئة تلين وتضحي سهلةً انيسةً بطاعته

وان قال: لِمَ شرب المسيح مرًّا وخلًّا؟ فقُل له: كي يقينا نحن من سمّ التنين المميت وبذلك صارت تلك المرارة حلاوةً وشفاء. وان قال: لِمَ سجد له الجند مستهزئين؟ فأجبهُ لكي يسجدوا له كارهين ويعترفوا بلاهوته مُقرّين. وتنحني له في القيامة العتيدة كلّ ركبةٍ من السماويين والارضيين والذين تحت الثرى ويعترف كل انسان ان يسوع المسيح ربٌّ بمجد الآب حقًّا (فيلبي ٢ : ١٠) . وتدلُّ تلك الحلّة الارجوانيّة التي ألبسوهُ اياها على ملكهِ الثابت رغماً عن سفك اليهود لدمهِ وقتلهم اياه. كما انَّ القصبة التي جعلوها في يده سوف يكتب بها خطاياهم

لكنَّ محاربي المسيح صنعوا بهِ هذه الاشياء جاهلين المصلوب بل عموا اختيارًا اذ كانت البريّة لم تجهل سيّدها وخالقها لانَّ الشمس الحسّيّة اذ عاينت المسيح شمس العدل معلّقاً على الصليب مشتوماً من المنافقين مهيناً لم تحتمل جرأتهم بل نفرت واظلمت واستشعرت انهُ قبيح هو ان تساعدهم وتُنير عيني المنافقين اعظم النفاق. ولم تغرب الشمس فقط بل اهتزّت الارض ايضاً غير محتملة نفاق اليهود موضحةً معلنةً انَّ المصلوب هو الهٌ فلمْ تشأ ان تحمل على ظهرها اعداء الله. لأنَّ اليهود بلغوا بإثمهم ما لم يبلغهُ غيرهم من الأئمة فانَّ قايين قاتل اخيهِ لم ينجّس الارض مثلهم ولم ينجّسها مثلهم الجبابرة بُناة البرج ولا السادوميّون عملةُ الفحشاء ولا المشركون باكرام الاصنام ولا اجدادهم باهراق دم زخريا بل أناف اثمهم على نفاق كلّ هولاء. فلم تُطق الارض

ان تحمل ذلك الثقل الباهظ ومن اجل هذا تشقّقت الصخور الصلبة لكي يعرفوا ان هذا هو الصخرة الحيَّة التي رُمز اليه بالصخرة التي شرب منها آباؤهم وانّما الصخرة هو المسيح (١ كور ١٠ : ٤) . فيا لقساوة اليهود وترحاً لقلّة نصحهم فالصخور تنشقّ وهم جمود بلا حسّ . تهتزّ الاشياء الخالية من النفس وذوو النفوس لا شعور لهم . انشقّ ستر الهيكل لتتّضح منذ ذاك جرائمهم وتنكشف مستورات الهيكل من اجل قول المسيح : «ها انّ بيتكم يُترك لكم خراباً» (متى ٢٥ : ٣٨) وذلك انّ كلّ اشباه اليهود الحسنة خرجت من اجل قتلهم المسيح وانتقل من المدينة والهيكل اللائكةُ الملازمون لها ليسكنوا في كنيسة المسيح . وقامت اجساد كثيرين من الراقدين والقديسين مع المسيح لكي نعلم نحن انّ المسيح بقيامته من الموت لم يقم وحدهُ بل يقيم معهُ جميع الاموات الذين يؤمنون به

فهذا هو عيد الفصح وهذه هي اسرار المسيحيين . فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مَوسِنا التي هي عن قيامة الموتى والحياة الابديَّة فسبيلنا أن نعيِّد « لا بخمير رذيلة وخبث بل بفطير نقيّ وحقّ وانصاف (١ كور ٥ : ٨) مؤمنين بآب وابن وروح قدس ثالوث متساوٍ جوهرهُ غير مخلوق موقنين بالقيامة متوقّعين اتيان الرب ثانيةً لا بالذلّة ايضاً بل بمجدٍ عظيم وبهجة سماويّة وملائكة منيرين بالخوف والفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخطأة والظالمين . والله السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمالٍ مُرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين امين

---

# اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين

للاب رفائيل نخله اليسوعيّ

سبق لنا القول في المشرق عن تجديد فنّ الجراحة على يد الطبيب الفرنسوي كارّل الذي تمكّن من تلقيح بعض اعضاء الجسم بقطع اخرى منهُ او من غيرهِ على

شرط حفظها حيّة في كل المدّة المتوسطة بين البتر والتلقيح . هذا ملخّص مقالتنا عن ذلك الاختراع العجيب الذي اهتزّ له علماء الخافقين دهشةً وسروراً لكونه فتح للجراحة العصرية دوراً جديداً مجيداً سوف تتعدّد فيهِ مآثرهم في ميدان العمليات التي كانت حتى الآونة الاخيرة قد عصت على مشرطهم ومهارتهم وسعة معارفهم

ولا شك ان قرّاء المشرق لدى اطّلاعهم على ذلك الاكتشاف الرائع ايقنوا انهُ آخر آيةٍ بلغ اليها العلم الحاضر فما قولهم لو اثبتنا لهم انهم اساؤوا ظنّاً ؟ والحق يقال ان فرنسة تفتخر الآن باثنين من نوابغ علمائها فاقا على الدكتور كارّل بعجيب اكتشافاتهما الحديثة وسبقاه سبقاً مُبيناً عظيماً ألا وهما ناجوت (Nageotte) مدرّس الهستولوجية بمكتب من اعظم المعاهد العلمية الباريسية وسَنْسِر (Sencert) مدرّس الجراحة في كلية ننسي . ويليق بنا قبل الخوض في اكتشافاتهما ان نبيّن على سبيل الايجاز جوهرها ثم وجه افضليتها على ما سبق اليهِ الدكتور كارّل

يعود جوهر اكتشاف العالمين الفرنسويين الى هذا : يمكن تلقيح الاعضاء المقطوعة من حيوان على آخر — والانسان حيوان الّا انهُ ناطق — بدون لزوم حفظ تلك الاعضاء حيّةً بل ان الملقّحات الميّتة تتّحد وتحيا بالجسم الملقّح بنوع اسرع واكمل منها لو كانت حيّة . وكفى بذلك اشارةً الى فوز الابتكار الحديث ونوالهِ قصب السبق على مآثر الدكتور كارّل مع ما لهذا الاخير من فضل المتقدّم بنهجهِ للعلماء طريقاً لاحباً لم يسبقهُ احد الى تمهيدهِ . هلمّ بنا الان نوجّه النظر الى الاكتشاف الجديد لندرك اسرارهُ الغامضة

معلوم ان كل الاجسام الحية سواءٌ كانت نباتية او حيوانية هي مركبة جوهرياً من خلايا في غاية الدقّة يلتئم بعضها ببعض لتكوين ما يسميه العلماء انسجةً دلالة على مجانستها الجزئيّة للمنسوجات المتحبكة وهي متنوعة بتنوّع شكل خلايا كلٍّ منها وخواصّ تلك الخلايا الكياوية والفيسيولوجية . فمنها مثلاً النسيج المُوصل والعصبي والعظمي والغضروفي . امّا المُوصل فهو الواصل وفقاً لاسمه بين كل اجزاء الجسم ومنه يتكوّن الجزء الاعظم ممّا ندعوهُ اللحم . واذا فُحص بالمجهر أسفر عن ملايين الياف يتراوح قُطرها بين بعض الميكرونات وبعض العشرات منها . والميكرون وحدة القياس المكرسكوبي تساوي جزءاً من الف من المليمتر . وتلك ملايين الالياف

مشتبكة بعضها ببعض اغرب اشتباك وترى فيها آلاف من الشقوق والثقوب والقنيّ وهي ملأى بسُصالة تتجدَّد دوماً وتقطن بها الخلايا التي ليست عديدة في غالب الاجسام

وقد بقيت تلك الالياف المشتبكة سرًّا غامضاً طالما اجهد الاختصاصيون فكرتهم في كشف نقابه الى المدّة الاخيرة فعادوا خائبين . فزعم فريق منهم انها مصنوعة بمادّة تُفرزها الخلايا الحيَّة الماكثة في خلال الالياف كما تتألف نخاريب النقيع من مُفرَزات النحل . وذهب فريق آخر الى انهامصنوعة من نفس جوهر تلك الخلايا. وكان كلا الرهطَين في ضلال مبين كما أَوضح الاستاذ ناجوت بأجلى البراهين على اثر فحوصهِ المتعدّدة بالمجهر لأنداب الجروح في كل ادوار اندمالها . وقد اسفرت المباحث عن كون المادة الجوهرية المتكون منها وشيجُ اليافِ النسيج الموصل هي ناتجة عن تحوّل مادَّة الفِبْرين (fibrine) التي تظهر في الندب لكل ذي عينين . والفبرين عنصر يتكون في الدم ويسبب جمودهُ في حال خروجهِ من العروق. فالاستاذ ناجوت لدى فحصهِ المجهري لندْبٍ ما في كل ادوارهِ رأى الفبرين المولودة من الدم تتحوّل تدريجاً بنوع يكاد لا يُشعَر بهِ الى شكل اليافِ النسيج المُوصل . والنتيجة الخطيرة لتلك الابحاث هي تولّد الالياف رأساً من جوهر الدم . ولم يبق مجال للشك في ذلك بعد مراقبات العلّامة ناجوت الذي خطا خطوةً جديدةً باستنتاجه ان تلك الالياف ليست بحصر المعنى مادة حيّة فانَّ البَلْسما اي العنصر الاصلي الدموي الذي تكوَّنت منه ليس حيًّا . ولا يخفى على احد ان الحيّ يتعذَّر قطعياً تولّده من غير الحيّ كما اثبت ذلك نهائياً العلّامة الكاثوليكي باستور الطائر الشهرة . اما الخلايا المتبطّنة في خلال الاليـاف فهي حيَّة دون مراء ويتَّضح ذلك من تأثرها الحيَوي لبعض العوامل وتناسلها وتحوُّلاتها الكيماويَّة مع العناصر الخارجيَّة . وحيث انها قليلة نسبةً الى عدد الالياف المُحيطة بها . لأنَّ كل الجسم البشري البالغ وزنه ٧٠ كيلوغراماً لا يحتوي من الخلايا الحيَّة على اكثر من نحو خمسة كيلوغرامات . فما أنسب والحالة هذه تشبيهه بمدينة توصف بالحياة رغماً عن كون معظم محتوياتها اي بيوتها ومبانيها خالية من الحياة . وقد جرت كل ألسنة العالم على وسم الشيء بسمة اشرف اجزائهِ

خلاصة القول ان النسيج الموصل في جسم الانسان والحيوانات ليس حيًّا . وانَّا

هو مسكن الخلايا الحية المنتشرة فيه بعلّة ... بفضل الاستاذين والعالمين البارزين تاجوت وسنير هو انهما بحثا عما اذا ... اخلاء ذلك المسكن من قاطنيه وإبدالهم بسواهم. فعمدا الى الاختبارات لحل ذلك الشكل المبهم. ومن ثمّ انتزعا قطعاً من النسيج الموصل في الانسان وبعض الحيوانات وغمساها في مائع قاتل لكل الخلايا الحية ثم لقّحاها على جسم حيّ. كل ذلك يعبّر عنه الآن بالتلقيح الميت greffe ) ( morte فتيقّن المبتكران الجوران على اثر امتحانات لا تحصى ان قطعة النسيج الموصل الملقّحة لا تلبث ان تلتحم بالعضو الملقّح اشدّ التحام وتنتعش بجواره بعد موتها بحيث يستحيل على ادقّ الفاحصين المحنّكين تعيين الحدّ الفاصل بينهما

هاك تفاصيل احد اختبارات العالمين الفرنسويين. بعد تبنيج بعض الكلاب بالكلوروفورم عريا ثم بترا على طول بضعة سنتيمترات بعض الاعصاب الباسطة لعضلات الاصابع. ثم لقّحا بدلاً من الاجزاء المقطوعة باجزاء اخرى مجانسة مأخوذة من كلب ميت وموضوعة مدة شهر ونيّف في الكحول القاتل لكل الخلايا الحية. ثم قُتلت الكلاب الملقّحة بضعة اسابيع بعد العملية وقد كانت قبل موتها استعادت حركة اصابعها بغاية السرعة. فكانت نتيجة الفحص الدقيق بالنظر المجرّد ثم بالمجهر ان الاعصاب الملقّحة في احدى رجلي الحيوان لا تختلف ادنى اختلاف عما يقابلها في الرجل الاخرى وان قطعة العصب الملقّحة ملتحمة التحاماً تاماً حيوياً بجزء العصب الذي خيطت به فهي تقاسمه كل خواصه النوعيّة والفسيولوجيّة. بل العجب العجاب انه استحال مطلقاً على الفاحصَين مهما كبّرا الصور المرتسمة في مجهرهما ان يريا مكان الالتحام بين الملقّح والملقّح عليه. واغرب من ذلك ان القلذة الملقّحة انجلت لهما بكل مجالي الحياة والياف نسيجها الموصل عامرة بكثير من الخلايا الحية الواردة اليها ضرورة من جزء العصب التي لقّحت عليه. وقد لاحظ العالمان سيرها التدريجي من احدى الجهتين الى الاخرى بقتل الكلاب الملقّحة بعد مرور اوقات متفاوتة منذ اجراء العمليّة

واذ نجحا ذلك النجاح العظيم في تلقيح اعصاب العضلات تجاسرا وحاولا تلقيح قطع من الشرايين ويعلم القاصي والداني مقدار دقّتها. فأبدلا في بعض الحيوانات قطعاً مبتورة من الوداج — وهو الشريان الموصل للدماء من القلب الى النخاع — بغيرها بعد ان

قتلت خلاياها في الكحول . فاسفرت العملية عن نجاح باهر حتى في حيوانات مختلفة الجنس كالخروف والكلب . ويلزم تنبيه القراء الى ان الياف النسيج الموصل المأخوذ من الخروف والمفرَّغ من خلاياه الحية عاش تدريجاً بعد تلقيحه على وداج الكلب بالخلايا المختصة بالكلب ليس بالخروف

ثم اراد المكتشفان النحريران المقابلة بين التلقيح الميت —وهو الاسم الذي اطلقاه على ابتكارهما— والتلقيح الحي وهو التسمية المناسبة لاكتشاف الدكتور كارّل رصيفهما الذي جارياه في الميدان الجديد الذي فتحه للجراحة العصريّة . هذا هو الاختبار الذي اجرياه بل اعاداه مراراً : لقّحا على كلبٍ فلذةً وداجٍ ميتةً بدلاً من جزء مبتور من وداجه الايمن وقطعةً وداج حيّةً بدلاً من احد اجزاء وداجه الايسر . فكانت نتيجة المقابلة بين الفلذتين الملقّحتين ان الاولى التحمت بنوع اسهل واسرع من الثانية خلافاً لما كان يتوقّعه في تلك الظروف لفيف العلماء الاختصاصيين وطبقاً لما كانا هما ينتظرانه

وتفسير ذلك السرّ الغريب ان الخلايا الحية اذا انتقلت من جسم الى آخر ولو كانا من جنس واحد لا تلبث ان تُحدث بعض التسميم في الجسم المُضيف لها فكأنّ هنا حرباً عواناً بين حياتين متضادتين لا تثبت الواحدة الّا بالحاق بعض الخسارة بالاخرى . وان شئنا ان نضرب مثلاً بسيطاً يقرّب ذلك الناموس الحيوي الى الاذهان فحسبُنا الاشارة الى ان احتلال مدينةٍ لا حامية لها يسهل على ايّ جيش كان بخلاف احتلال بلدة محصّنة عامرة بالجنود ومجهَّزة بانواع الذخائر الحربيّة فانّ فتحها لا يُنال الّا ببعض المشاق . فأفلاذ النسيج الموصل الملقّحة على جسم الحيوانات بعد قتل خلاياها هي اشبه بمدينة عزلاء خالية من الجند فيتيسَّر على الخلايا المضيفة لها ان تلج بين الياف النسيج الملقّح لتنوب عن سكانه السابقين الذين لم يكن فيه عناصر حيّة سواهم . وما نقوله في تلقيح قطع النسيج الموصل ينطبق على تلقيح ايّ فلذةٍ كانت تُبتَر من جسم الحيوان . فقد سبقت لنا الاشارة الى ان القسم الاكبر مما نسمّيه لحماً متكون من النسيج الموصل

ومُذْ تأكد العالمان المكتشفان نابوت وسنسر افضليّة طريقتهما على خطة كارّل اعني امتياز التلقيح الميّت على التلقيح الحي أقدما اقتداء بنموذج رصيفهما الشهير على إخراج

ابتكارهما الى حيّز العمل في العمليات الجراحية فكلّ[illegible]ح مسعاهما منذ الاوائل . وقد ساعدتهما على اجراء التجارب كثرة جرحى ا[illegible]ب الكبرى : فلنورد تفاصيل بعضها على طريق الايجاز

لقّح اتيقريسان اعصاباً حيوانية في [illegible]عضاء اشخاص مزّقت شظايا القنابل قطعاً من اعصابهم . فنجحت تلك العمليات العديدة فوق ما يؤمّل واستعاد المعالجون التمتع التامّ بالعضو الملقّح بعد ان امتنعت عليه ادنى حركة . وقد بلغ احياناً طول العصب الحيواني الملقّح عشرة سنتيمترات . وعلى هذا المنوال أبدلت اوتار عضليّة مقطوعة بغيرها مأخوذة من حيوانات ميتة فافلحت المبادلة . ولا نتمالك ان نروي على حدة تفاصيل احدى العمليات الاخيرة . كان المعالَج قد فقد كل الاوتار العضليّة المطّقة لاصابع احدى يديه فبقيت الاصابع ملتوية نحو الراحة ومن المستحيل تمديدها . فأُقحمت عليها ثانية اوتار مثلها منزوعة من كلب فشفي الرجل من عاهته اتمّ شفاء وصار يستخدم كل اصابعه كما كان يفعل قبل جرحها

وبما ان تلقيح قطع الشرايين نجح في الحيوانات كلّ النجاح فالاستاذان ناجوت وسنسريبنيان عليه اطيب الامل في اجراء مثله على الانسان . فلو تحقّق رجاؤهما وتممّت طريقتهما التلقيحيّة لنجا من الموت الفجائي الهائل آلاف من المصابين بالنورسما (anévrisme) وهي انتفاخ مُفرط في الشرايين يحدث انقطاعها توقّف الدماء في باطن الجسم فلا مناص عندئذٍ من الموت العاجل . فكم وكم حياة ثمينة تخلص من الهلاك اذا استطاع الجرّاح الواقف على وجود نورسما في شريان معلوم ان يبتر جزء الشريان المصاب به فيبدله بجزء ملقّح

ثمّ انّ لاكتشاف العالمين الفرنسويين تطبيقاً آخر شديد الخطورة لا يبعد تحقيقه . كان الجرّاحون حتى ايامنا هذه اذا ارادوا معالجة عظم فقدت منه قطعة لا بدّ من التعويض عنها كما في الجمجمة يعمدون الى كسر مثلها من عظم اقلّ اهمية للشخص المعالج ويكتلون بها العظم الناقص . ومن البديهي ان في ذلك كلفة بل مصيبة على محتمل العمليّة فكانّي به نجا من العمى بقبول العور . فكم تخفّ بل تزول المصائب ان امكن في مستقبل قريب تلقيح كِسَر من عظام الكلاب او العجول لتنوب مناب ما انتُزع من عظام الانسان . وكثير مثل هذه التطبيقات الجراحيّة

يسوغ لنا الآن رجاء تحققها العاجل . فما اعظم الخدمة التي اداها للعالم اجمع الجهبذان الفرنسويان ناجوت وسنسر باكتشافهما الرائع الذي كاد ينسينا معجزات الدكتور كارل مبتكر فن التلقيح الجراحي الحديث

وقبل ختام هذه المقالة نزيد إطلاع القراء على اكتشاف آخر شديد الخطورة يُعزى الى نفس العالمين المذكورين وله علاقات وثيقة بالاكتشاف الاول . كان العلماء عموماً ولا سيّما الاختصاصيين بعلم الخلايا الحيّة موقنين بان لكل نوع من هذه الخلايا اشكالاً ومواضع ووظائف معلومة يمتنع تغيّرها . فالاستاذان الشهيران قد اوضحا استناداً الى اختباراتهما العجيبة بطلان ذلك الرأي

وهذا بيان موجز لكيفية وقوفهما على الحقيقة المحجوبة عن ذات الاختصاصيين . انهما فحصا موضع التلقيح من كلاب بُترت منها قطع ودّاج ثم أبدلت بمثلها من كلاب أُخر . ومعلوم لدى العارفين ان قناة الودّاج مكوّنة من طبقات متنوّعة من الخلايا والطبقة الوسطى مركبة في الشريان الحيّ من خلايا خصوصيّة يتخلل بينها عدة صفائح مَرِنة ودقيقة لم يبق سواها في قطعة الودّاج الميّت الملقّح على ودّاج الكلب . فالعالمان ناجوت وسنسر لاحظا بعد اجراء التلقيح بمدّة ان خلايا عديدة تسرّبت شيئاً فشيئاً من انسجة الجسم المجاورة لقطعة الودّاج الملقّحة وتخللت بين الصفائح المرنة التي بهذه القطعة نيابةً عن الخلايا التي قُتلت قبل التلقيح . ويمكن بالمجهر مشاهدة كل ادوار تحوُّل الخلايا الواردة من جوار الودّاج الى مكانٍ وشكل ووظائف جديدة . فقد ثبت علمياً بفضل الاستاذين امكان تحوُّل الخلايا من نوع الى آخر ومن وظيفة الى اخرى . وعلى هذا الاكتشاف الجديد تستند آمال كبرى قرَّب الله موعد تحققها وهي الآتية : كل اعضاء جسمنا مكوّنة جوهرياً من نسيج مُوصل يمكن تلقيحه على مثله في جسم آخر بعد قتل خلايا الاوّل . ومن جهة اخرى ان النسيج الموصل الملقّح له تأثير على الخلايا المجاورة بتحويلها الى النوع المناسب للعضو الملقّح مثلاً الى خلايا شريانيّة ان لُقّح الشريان . فما الذي يمنعنا مبدئياً بعد الحقائق الراهنة التي سبقت الاشارة اليها ان نرجّي امكان التلقيح الميّت ليس فقط في قطع العروق والاوتار العضلية ومثلها بل وفي اهمّ الاعضاء الحيوية كالقلب والمعدة والرئة والكلوة . لعمري كل ذلك لم يزل الآن في دائرة الامكان ولو لم يخرج بعد

منها الى حيّز العمليات الجراحية

والحق يقال ان اكتشافات العالمين [illegible] سويين تاجرت وسنسر هي من ابعد ما ادركته فكرة العلماء الوقّادة بفضل الفحوص والاختبارات المتعددة التي أجروها في ميدان العلوم عامّةً وفنّ الجراحة خاصة منذ شُغِفت الالباب بالتوغل في اسرار الطبيعة طمعاً في ازاحة طرف النقاب الذي اسدلهُ عليها الباري ربما يكشفه الانسان بانتصاره المجيد على كل العقبات الحائلة دون مرامه النبيل

---

## رسالة تدبير المنزل لارسطو

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة (الآثار)

### تمهيد

لقد طالعت في الجزء الثالث الماضي من (المشرق) الاغرّ مقالة « تدبير المنزل » لمؤلفها (بريس) مع مقدمتها وحواشيها بلذّة لما فيها من المباحث الجديدة بالثناء على الفلاسفة القدماء في ما وضعوه لنا من كتب التربية وتدبير الأسرة والمنزل الخ وما ءنى علماء العرب في نقلها الى لغتهم وحفظها بعد ضياع أصول كثير منها ونشرها الآن بعناية مجلة المشرق . ولقد عُنيت بالبحث عن مثل هذه الآثار النادرة لنشرها على صفحات مجلتي (الآثار) او غيرها من المجلات الكبرى حفظاً لها من الضياع . ومما ظفرني به الحظ منذ سنوات مقالة «تدبير المنزل » لارسطو الفيلسوف اليوناني في مجموعة طبيّة طبيعية فنّية قديمة الخط نادرة الوجود اتصلت بمكتبتي مثل غيرها من المخطوطات النادرة التي حرصتُ عليها كل الحرص ولاسيا في اثناء الحرب العامة ونكباتها فزدتها عشرات من النوادر . وقبل وصف الكتاب والرسالة استأذن ناشر المقالة المذكور صديقي العلامة صاحب المشرق بتقديم كلمة في هذا الموضوع :

### كتب تدبير المنزل

لقد وقفتُ على أسماء كثير من المؤلفات المتعلقة بتدبير المنزل وشؤون الأسرة والتربية البيتية وسياسة اربابه وعرفتُ بعضها وما بُحِثَ فيه . فرأيتها ترمي الى اغراض كثيرة مثل تدبير الزوجة وتربية الاولاد وتدريب الخدام وآداب الصحبة وحسن

المعاشرة وصحة المخالقة وآداب الانسان في مأكله ومجلسه وملبسه وسفره واقامته وادارة البيت وإعداد المآكل والتمريض وما يتعلق بذلك من الآداب الرائعة ولولا ضيق المقام في هذه العجالة لعددت منها عشرات باسماء مؤلفيها ومواضيعها وما شاكل ولكنني اقتصر على الاشارة العامة منتقلاً الى وصف هذا الفن من مؤلفاتهم :

ان طاش كبري زاده في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١ » الذي ضمّنه كثيراً من هذه الآداب ذكر في (الدوحة الخامسة) التي تبحث في الحكمة العملية ان لها اربع شُعَب : (الاولى) في علم الاخلاق . و(الثانية) في علم تدبير المنزل . و(الثالثة) في علم السياسة . و( الرابعة ) في فروع الحكمة العملية وهي علم آداب الملوك . ووظائف السلطان . وآداب الوزارة . والاحتساب . وقود العساكر والجيوش

ثم قال بعد تعريفه الحكمة العمليّة ما نصّهُ وهو يدلّ على علاقات التقسيم : « ثم ان الحكماء ذكروا علومهم العملية وبحثوا فيها عن الاعمال الصادرة عن البشر . وتلك الاعمال امّا ان تتعلق بالشخص وحده وهي (علم الاخلاق) . أو تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي (علم تدبير المنزل) . او تتعلق باحوال اهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي (علم السياسة) وهذه علوم ثلاثة . ولنذكر كلّاً منها في شعبة ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها »

واليك ما ذكرهُ في الشعبة الثانية عن (علم تدبير المنزل) : « وهو علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدّامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها . و (موضوعه) احوال الاهل والاولاد والقرايب والخدّام وامثالها . و (منفعة هذا العلم) عظيمة لا تخفى على احد حتى العوامّ لان حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة

١) وهو الامام عصام الدين احمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ﻫ (١٥٦٠ م) وكتابهُ (المفتاح) من أكبر الموسوعات العربية الباحثة في اقسام العلوم ووصف مؤلفاتها وتراجم المؤلفين يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة طُبع منها الأوَّلان في الهند بحيدراباد سنة ١٣٢٨-١٣٢٩ﻫ (١٩١٠-١٩١١ م) في نحو الف صفحة بقطع ربع كبير وهو ما وقف الطابع عليه من المفتاح ولهُ جزء ثالث من نسخة رائعة في مكتبة احمد باشا تيمور من الدوحة السابعة الى آخر الكتاب وهذا حريّ بالطبع لما فيه من الآداب والعادات ولي مقالة مطولة في وصف الكتاب ومعارضاته ربما نشرتها في احدى المجلّات

بينهُ وبين الاشخاص المذكورة ويتفرغ باعتد... نتظامها الى كسب السعادة العاجلة أو الآجلة»

ثم قال: «ولشعر كتب هذا العلم (كتاب بروش). وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا وستعرف الكتب الجامعة للثلاثة»

انتهى ما رايت ذكرهُ من هذا الكتاب الذي اعتمد عليه الحاج خليفة في كشف الظنون ونقل عنه التعاريف والحدود احياناً بالحرف الواحد كما ترى في علم تدبير المنزل

## مؤلف الرسالة المنشورة في المشرق

لقد رأيت اسم صاحب هذه الرسالة كثير الصور والتحريف. واقدم من ذكرهُ ابن النديم في (الفهرست) صفحة ٢٦٣ بقوله:

«كتاب (روفس) في تدبير المنزل لماوسوس (١»

هذا كل ما ذكرهُ عنهُ ولما نقل المرحوم المؤرخ جرجي زيدان كلامهُ في تاريخ دآب اللغة العربية (٢: ٢٣٢) قال: «كتاب تدبير المنزل لبروسن (كذا) ذكرهُ صاحب الفهرست وقد ضاع». فحرّف الاسم خطأً مطبعياً. وكأن المؤلف لم يطالع الفصلين اللذين نُشرا من هذا الكتاب في مجلة الضياء اليازجية (٢: ١٩٩ و ٢٤٣ و٢٦٦) في البحث عن المال والخدّام فقط عدا الفصلين الباقيين اللذين نشرتهما (المشرق) مع الاوَّلين (٢ فلذلك قال انه (قد ضاع)

ولقد عارضت ما نُشر في الضياء بما نُشر في المشرق فرأيت الكتاب الذي نقل

---

١) لا نعلم ما هو مستند جنابه في قوله انَّ الكتاب المذكور في الفهرست هو الذي توليّنا نشرهُ في المشرق ولعلَّه كتاب آخر باسمه مع ما في ايراد الاسم من الالتباس «كتاب روفس . . . لماوسوس ؟» (ل . ش)

٢) لم ننتبه الى ما نُقل من كتاب تدبير المنزل في الضياء في سنتها الثانية ولولا ذلك لأشرنا اليها. ومن المرجَّح انَّ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي اطّلع على ذات النسخة التي اخذنا عنها. ولم يصرِّح في الضياء عند من وجد الاصل الذي نقل عنهُ. وقد قابلنا بين ما نشرناهُ في المشرق والقسم الذي نشرهُ صاحب الضياء فرأينا فيهما فرقاً زهيدًا فان الشيخ لم يُشر الى الاصل المغلوط فأصلحهُ توًّا وقد اصلحناهُ نحن بعد ذكر الرواية الاصليَّة صونًا لامانة النقل. امَّا تقاسيم الفصول فزدناها نحن بحرف دقيق تسهيلاً لمطالعتها (ل . ش)

عنهُ الضياء اسدّ مرمى في بعض المواضع مما نقل عنه المشرق ولعلّه اقدم واضبط. على ان ما في المشرق قد يزيد فقرات لا توجد في الضياء احياناً شأن ما ينقل عن المخطوطات القديمة ولاسيا غير المنقوطة منها او التي لم تقابل على اصلها وتضبط بقراءتها على مشاهير العلماء

بقي البحث في (اسم مؤلف الرسالة) فان ما فيه من التصحيف والتحريف وكثرة الإشكال يشوش الذهن حتى ان الاسم جاء في مجلة (الضياء) هكذا (رس) مهملاً . وفي آخر مقالة المشرق (برولس) ولعلها بروبس لان ما جاء في فهرست ابن النديم هو الاقرب الى الاصل والفيلسوف (روفس) كان من افسس مقدَّماً في صناعة الطبّ ولم يكن في الروفسيين افضل منه . وهو قبل جالينوس المشهور (فهرست ص ٢٩١) ولاخفاء بالتبادل بين الفاء والباء فيقال روفس وروبس

ولقد ترجم هذا الفيلسوفَ ابنُ القفطي (ص ٢٩١) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٣) في كتابيهما (تاريخ الحكماء والاطباء) على ان ابن ابي اصيبعة سماهُ (روفس الكبير) مما يدل على انه يوجد حكيم آخر باسم (روفس الصغير) لعلهُ هو واضع هذه الرسالة . ولقد عدَّدا مؤلفاته . وذكر لهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) (كتاب حفظ الصحة) الذي فسَّرهُ حنين ابن اسحق . ولكنهما لم يصرّحا باسم هذا الكتاب كما اشتهر اسمه (تدبير المنزل) . على ان ابن ابي اصيبعة ذكر له مقالة (في تدبير الاطفال) ولعلّها احدى المباحث الاربعة مفردةً او سمّى الكل باسم الجزء . وذكر له ابن النديم (كتاب التدبير مقالتان) فافرد له بعض مباحث الرسالة ايضاً . اما علوسوس الذي ذكرهُ ابن النديم فمما لا يُهتدى اليه ولعله هو الذي دعا الى هذا التحريف والتصحيف

## تدبير المنزل لارسطو

هو رسالة من كتاب طوله ٢٣ س وعرضه ١٦ وكل صفحة معدَّل اسطرها ١٧ في نحو ٤٠٠ صفحة مخروم من اوله وآخره ولكنه قديم الخط مجلد بالخشب بقطع ربع عريض خشن الورق مختلف الخط بالحبرين الاسود والاحمر اتَّصل بمكتبتي . وفيه مقالات (التعليلات) للاسكندر الافروديسي . و(ثمار المسائل الطبية) لثاوفرسطس . و(مسائل ما بال) لارسطو في ٢٥ مقالة . و(ثمرة من كلام يحيى وجالينوس) في الترياق .

ومقالات أُخر مختلفة المواضيع لعيسى بن ماسـ... جالينوس . وبعضُها لم يُذكر مؤلفها وهي في تركيب الادوية والاغـذية ... ـن والشعر والروح والنفس والعطش والروائح الخ وآخرها (في الموسيقى) لا... فرج بن الطيّب . و كلها من نوادر المواضيع الجديرة بالنشر . على ان خط الكتاب القديم كان مهملاً فأعجمهُ بعض مطالعيه فشوّشوا بعض الفاظه . وسأصف هذه المجموعة مع غيرها من نوادر المخطوطات التي أحرزها في مكتبتي حرصاً على فوائدها وحفظاً لها من الضياع متى سنحت لي فرصة كافية

اما مقالة تدبير المنزل فقد عُنونت هكذا « ثار مقالة أرسطو في تدبير المنزل » وهي في نحو سبع صفحات (١ . عارضتها بمقالة (بروفس) في الشرق فرأيت فيها هذه الفروق :

## معارضة الرسالتين

بدأ ارسطو رسالته في الفرق بين السياسة المنزليّة والسياسة المدنيّة فأبدع في التفرقة بينهما ولم يقتضب الكلام اقتضاباً كما فعل ( بروفس ) وجعل اول حاجات المنزل المرأة فبحث عنها ثم عن الرجل وسياستهما معللاً عن مبادلة التعاون مفرّقاً بين الانسان والحيوان في الزواج . باحثاً عن زينتها وانها خارجية لا تأثير فيها على الاخلاق مفضلاً هذه عليها . وتطرّق الى الخدّام وعبَّر عنهم (بالعبيد) ونهى عن السماح لهم بشرب المسكرات وحضَّ على تعهّدهم بالاستخدام والتأديب والإشباع واسترسل الى وصف اخلاقهم وما يجب ان يفضَّل منها على غيرها

ثم استرسل الى المال وتحصيله وخزنهِ وإنفاقهِ وما شاكل ذلك مشيراً الى تربية الأسرة وما يجب فيها من الحكمة

على ان الفرق بين الرسالتين ان ارسطو ادمج كلامه بدون تبويب وبدأ في وصف تدبير المنزل وشؤون اربابه متطرقاً من موضوع الى آخر بعلاقات قادهُ اليها البحث

---

١) ولعلّ هذه الرسالة هي عين الرسالة التي اشرنا اليها في مقدَّمتنا على رسالة تدبير المنزل حيث روينا ما نشرهُ العلّامة إجرْ (Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون منسوباً الى ارسطو في تدبير المنزل فاذا نشرهُ صديقنا عيسى افندي عارضناهُ بتلك الترجمة (ل . ش)

معتمداً على فلسفة التدبير العامّة معتمداً على آداب العبيد المستخدَمين ممّا يدل على شدّة عناية القدماء بهم ولاسيا في عصره · بخلاف تقسيم بروفس مقالته الى اربعة مباحث معنونة

وعبارة رسالة ارسطو تنمّ عن اساليب التعريب القديمة لكبار المعرّبين مع ما في الفاظها من الإشكال لإهمالها ثم إعجامها بما يحتاج الى إعمال النظر لردّه الى نصابه

وعلى الجملة فالرسالة جديرة بالنشر بعد تحقيق بعض الفاظها وازالة ما شوّهها من التصحيف مع كرور الايام على هذه النسخة واصطلاح الخط القديم وكثرة الايدي التي اشتغلت في الكتاب المجموعة فيه نسخاً وتنقيطاً وتشكيلاً. وسأتفرّغ لذلك عند سنوح الفرصة

## ختام

وبزبدة المقالات جميعها انها عبّر عنها في الطب (بالعلّة) وفي غيرها (بالشرة) فلذلك سُمّيت مقالات كثيرة فيه بالتعليلات واخرى بالثمار وفيها مباحث مفيدة في الطب والطبيعيّات والآداب منها في الخمر والسكر والتعب والاعياء والعُدوى التي عبّر عنها بالمشاركة في الألم وخواصّ الحيوانات والصوت والامزجة والعطش واكثرها لارسطو وغيره من كبار الفلاسفة ولعلها من تعريب ابي الفرج ابن الطيب والله اعلم

---

شهيدات المحبة

# في ثورة فرنسة الكبرى

نقل تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ شريعة المسيح قد امتازت عن الشريعة الموسويّة بكونها غلّبت الفضل على العدل ورجّحت المحبّة على القسط والإنصاف. قال رسول الامم في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ١٠) : «انّ المحبّة هي الناموس بتمامه» وقال في الرسالة الى اهل

كولسّي (٣: ١٤) : «المحبّة رباط الكمال» . ... حبّة فرعان كما قال السيّد المسيح (متّى ٢٢: ٣٨—٤٠) : «محبّة الله وهي ... ية العظمى والأولى ومحبّة القريب التي تشبهها وبهاتين الوصيّتين يتعلّق الناموس كلّه والانبياء» .

وبين القديسين في كنيسة الله من اشتهر بتبريزه في احدى تينك الوصيّتين فهام بعضهم في حبّه تعالى حتّى كادوا يذوبون غراماً في مناجاته ويتفانون في الاقتداء بكمالاته . ومنهم من خصّوا نفسهم في خلاص القريب وبذلوا النفس والنفيس في صلاحه حبّاً بالله

وقد برّز غيرهم في اتمام الوصيّتين فقدّموا ذاتهم محرقةً ذكيّة على هيكلي حبّ الله وحبّ القريب . منهم اربع رواهب من راهبات المحبّة قُتلن في السنة ١٧٩٤ في سبيل الله مستشهدات بالايمان بعد ان قضين قسماً كبيراً من حياتهنّ في خدمة القريب لاسيّما الفقراء والمبؤوسين . فمجّدتهنّ الكنيسة بتدوين اسمائهنّ في عداد المطوّبين من اولياء الله فأقيمت في الشهر المنصرم الحفلات الشائقة في كنيسة حضرة الآباء اللعازريين في الثغر لاكرامهنّ وقد شارك المؤمنون على اختلاف طقوسهم راهبات المحبّة في تعظيم اخواتهنّ اللواتي يسمين هنّ بامثلتهنّ فضلاً ومحبّة نحو الله والقريب

## ١ شهيدات محبة القريب

في شمالي فرنسة مدينة كبيرة اشتهرت في الحرب العموميّة الاخيرة بما اصابها من جور الالمان وما ابداه سكّانها من الشهامة في حبّ وطنهم . فهذه المدينة دُهمت في السنة ١٧٩٣ بآفة اشدّ واقطع اذ تولّى عليها من قبل رجال الثورة الفرنسويّة كاهنٌ كان مرق من دينه واستسلم لكل اهواء قلبه الشرّير بغضاً باهل البرّ ومعاداة لأرباب الصلاح اسمهُ يوسف ليبون مكذّباً اسمهُ بقبيح فعاله ومصدّقاً في نفسه المثل القائل : ليس فساد اقبح من فساد ذوي الفضل .

وما كان المذكور الّا اهلاً باولئك العلوج الهمج الذين كانوا بمكرهم وقحتهم تمكّنوا من ضبط ازمّة السلطة فاطلقوا العنان الى الاستبداد برقاب العباد واستصفاء اموالهم لا يستثنون من ظلمهم صغاراً او كباراً اغنياء او فقراء ارباب الدين او اشراف العلمانيين حتّى اضحت فرنسة بمدّة نحو اربع سنوات منقع دمٍ عموميّ دنّس كل

اطراف البلاد وكفى بذكر اسماء بعض هؤلاء الاشرار المتقمصين بجسم بشري استدلالاً على سوء سلوكهم. وانَّ اسماء دانتون ومورا وروبسپيار وامثالهم لا تزال مرادفة لجموع الشرور والآثام لا يفوهُ بها احد الاَّ بالكراهية والاشمئزاز. فبوكالة مثل هؤلاء الملاحدة الاشقياء اتى لوبون السابق ذكرهُ وفي يدهِ قرار يثبت لهُ الحكم المطلق على مدينة أرّاس واهلها الذين لا يُذعنون لاوامرهِ الشرّيرة مطيعين لهُ الطاعة العمياء او يُفرغ فيهم سجال بغضهِ وحنقهِ

وكان اذ ذاك في أرّاس دير لراهبات المحبَّة يقدّسنهُ بكل اعمال الرحمة والشفقة نحو المنكوبين من فقراء وأيتام ولقطاء ومرضى وعجز. ولم تكن تلك الاعمال حديثة بل كانت ترتقي الى عهد منشئ جمعيَّة المحبَّة اي القديس منصور دي بول والطوباويَّة لويزه دي ماريلياك التي ذكرنا لمعةً من اخبارها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٠٨) . فانهما في السنة ١٦٥٦ كانا ارسلا الى مدينة أرّاس راهبتَين فاضلتين باشرتا بكل المشروعات الخيريَّة التي لراهبات المحبَّة الباع الطويل في ادارتها . فمرَّ عليهما وعلى اخواتهما بعدهما نحو قرنٍ ونصف وهنَّ موضوع اعتبار جميع الاهلين ووقارهم وإعجابهم لم يحدنَ في تلك المدة الطويلة ذرَّةً عمَّا اعتدنهُ من اعمال الخير والرحمة بل وسَّعنَ نطاق تلك المبرَّات حتى اضطرَّ اسقف أرّاس سنة ١٧٨١ الى نقلهنَّ الى دار اوسع واصلح ليقُمن بكل ما باشرنهُ من المصنوعات الخيريَّة . وبقي الامر كذلك الى ان انقلبت في فرنسة الهيئة الحاكمة وثُلَّ عرش ملوكها فصارت الامور الى الجمهوريَّة وتفاقمت حتى اصبحت فوضى يُدير سياستها المتطرّفون من رعاع الناس واهل الغوغاء .

ولمَّا حدث الانقلاب السياسيّ في فرنسة سنة ١٧٨٩ وجاهر زعماؤهُ بالحرّيَّة والمساواة والاخاء لم تجد راهبات أرّاس في هذا الشعار ما يتهدَّد اعمالهنَّ بل رأين فيهِ تأييداً وتحبيذاً لخدمتهنَّ الاختياريَّة للفقراء والبؤساء

وكانت رئيسة راهبات المحبَّة وقتئذٍ الاخت مادلين فونتين (Sr Magdeleine Fontaine) المولودة في قرية اتريباني سنة ١٧٢٣ فكانت منذ اربعين سنة بتتفقّد المنكوبين والبائسين لا يأخذها في عملها الملل والسأم وكان تحت امرها من اخواتها الاخت ماري لانل (M. Lanel) وتريزا فانتو (Th. Fantou) وجان جيرار (J. Gérard) يجارينها حبًّا وايثاراً نحو المنكوبين

وكان اصل هؤلاء الفاضلات الاربع من جهات فرنسة المختلفة من أسر زهيدة بالأملاك الزمنيّة غنيّة بالفضائل المسيحيّة تربّين اصلح تربية على ايدي راهبات المحبّة فمثل فيهنّ مثال اولئك الملائكة المتجسّدين فقصدنَ الاقتداء بهنّ وهجرنَ العالم وملذّاته ليعشن لله ولخدمة القريب . وبعد أن مكّنّ في قلوبهنّ الفضائل الرهبانيّة وأدركن تماماً ما يطلبهُ الله منهنّ من التجرُّد وتضحية الذات في سبيل المرضى والمنكوبين تردّين بثوب خدمة المسيح في ممثّليهِ التعساء على رؤوسهنّ ترفرف قرنيّة البرارة وعلى وسطهنّ نطاق سُبحة البتول مع الصليب المحيي . فيرنَ مسرعات متطايرات حيثما وجدنَ بؤساً يُصلحنهُ وجراحاً يضمّدنهُ وداء يداوينهُ

وكأنّ الرب وجد في هذه النفوس الاربع ما سُرّ بهِ قلبهُ الاقدس من سامي الفضل وجزيل البرّ فجمع بينهنّ في دير واحد ليُعدّهنّ الى دعوة الاستشهاد الجليلة . فاخذن يتنافسن في كلّ عمل مبرور ويتسابقنَ في كلّ مشروع صالح في مدينة أراس لم يشاهدهنّ احد في ذلك المضمار الّا حنى رأسهُ إجلالًا واعتبارًا

قامت الثورة الكبرى واندفعت اندفاع السيل الجارف في كل انحاء فرنسة لم تخلُ في ثنائها مدينة أراس من بلاياها وفظائعها الّا انّ الراهبات كنّ في ديرهنّ كفي مقدس لم تجرأ يدٌ أثيمة ان تمسّهُ بأذى بل طمّنهنّ ارباب الجمهوريّة قائلين : لا بأس عليكنّ طالما لا تنوين الّا خدمة الشعب واسعاف المبؤوسين والمرضى

فواصلت الراهبات اعمالهنّ المقدّسة مستورات محصّنات يقدّمنَ للهِ في السرّ اتعابهن واوجاعهنّ لخلاص فرنسة من المحن التي دهمتها ولو شاء الله تضحية حياتهنّ يبذلنها بطيب القلب لسلام وطنهنّ ونجاتهِ من الفتن والشاغب

## ٢ شهيدات محبة الله

سمع الله صوت دعائهنّ فاراد ان يضيف الى استشهاد محبّة القريب استشهاد الدم في سبيل حبهِ تعالى فيضاعف جزاءهنّ بقبولهِ حياتهنّ تكفيرًا عن آثام آل الوطن وقد شاركنهُ بشرب كأس ابنهِ الوحيد تدريجًا الى عكرهِ . فكان اول ما ذُقن من مرارتهِ انّهُ قضي عليهنّ ان يخلعنَ ثوبهنّ الرهباني فرضينَ بذلك مؤمّلات ان يداومنَ خدمتهنّ للفقراء والمرضى

وبعد زمن قليل امر رؤساء مجلس الجمهوريَّة بان يُكرَه الاكليروس والرهبان على قسَم ملتبس اللفظ غامض المنى رأى فيهِ الجانب الاعظم من ارباب الكهنوت خرقاً بكرامة الدين ومن ثمَّ عوَّلت راهبات دير ارَاس على نَبذ ذلك ألحلف. فغضَّ المأمورون طرفهم على إبائهنَّ فاستمررن على اعمالهنَّ التقويَّة الخيريَّة الى خريف السنة ١٧٩٣ وهنَّ لا يزلن مكرَّمات مشكورات من الجميع

ففي تشرين الاوَّل من السنة قدم يوسف لوبون السابق ذكرهُ متقلدًا الحكم في ارَاس فارتعدت فرائص الجميع لقدومهِ وكان بلغهم سابقاً ما هو عليهِ من فظاظة الطباع وشراسة الاخلاق. فما كادت تستقرُّ قدمهُ في المدينة حتى ألقى في السجن عدداً عديداً من سكانها مدَّعياً بعدم اخلاصهم الحبَّ للجمهوريَّة. ثمَّ أرسل مأمورَين يسألان الراهبات أأديا القسم المفروض من الجمهوريَّة؟ فكان جواب الرئيسة كما اجابت سابقاً انَّ الضمير يمنعها واخواتها عن أدائهِ

فاتخذ لوبون وجماعتهُ هذا الجواب كحجَّة للتشديد على الراهبات فأتوا مرَّة ومرَّتين لتفتيش ديرهنَّ دون ان يجدوا شيئاً موجباً لمصادرتهنَّ. ثمَّ أبدلوا اسم المأوى ودعوهُ «دار الانسانيَّة» واحلُّوا فيهِ في ٢٥ تشرين الثاني ناظراً من قبلهم مع طبيب وجرَّاح واجزائي وفرضوا لهم راتباً من مداخيل مستوصف الراهبات اربعة آلاف ليرة فلم يبقَ للراهبات والفقراء من النفقة الأما لا يُعبأ بهِ ولا يسدُّ رمقاً

فلم تنثنِ الراهبات مع كلِّ ذلك عن العمل وكنَّ يستطعن في المدينة للقيام بمعاش المرضى والمحتاجين وقوتهنَّ اليومي محتملات تلك المعاملات السيئة باجمل الصبر. وبقين على ذلك نحو ثلثة اشهر اجتهدن في مطاويها ان يكتسبن بلطفهنَّ وخدمهنَّ الصادقة قلوب اولئك الوحوش الضارية فلم يزدادوا الّا شراسة. وفي ٥ شباط ١٧٩٤ اتى من قبل لوبون رجلٌ شبيهٌ بهِ قحةً وجفاءً يُدعى [illegible] (Mury) وسكن الدير واخذ يسلق الراهبات بالكلام والشتم وبعد ايامٍ [illegible] من لوبون وشركائهِ حكماً في حقهنَّ بانْ يكففن ايديهنَّ عن الادارة. [illegible] السجن

فحُبسن اوَّلاً في السجن العمومي [illegible] سابقاً مقاماً لرئيس الرهبان (Abbatiale) فبقين شهراً بانيف ولما أُحضرنَ امام مجلس الاستنطاق لم يجد المستنطقون ما يطلون بهِ معاملتهم الّا امتناعهنَّ عن القسم المخالف لذمتهنَّ

فاعتُبِر جوابهنَّ كجرمٍ في حقّ الحكومة ونُقلن الى سجنٍ اشدّ ظلمة وأوكره سكناً فضلاً عن حرَجهِ وقلّة سعتهِ يُدعى سجن « پروڤيدانس » كانوا خصُّوه سابقاً بالمومسات فاخرجوهنَّ ليُلقوا فيهِ سيّدات واوانس من أُسر كريمة طمعوا في استصفاء اموالهنَّ مدّعين انهنّ من اعداء الجمهوريّة . وكان عددهنّ قريباً من الخمسائة والمكان يضيق على اكثر من مئة وخمسين اسيرًا . ففي هذا الحبس دخلت الراهبات فرحاتٍ جذلات اذ أُهلنَ ان يشاركنَ ربّهنّ بالامهِ

لكنّهنّ ما لبثنَ ان نسينَ اوجاعهنّ ليفكّرن في خدمة رفيقاتهنّ . والحقّ يقال ان اولئك التاعسات كنّ في حالةٍ يُرثى لها وهنّ غائصات في لجج الاكدار مذ فُصِلن كرهاً عن اولادهنّ واهلهنّ وزُججنَ في السجن لا ينتظرنَ الّا الموت الاحمر . فكان مجيء الراهبات بينهنّ كبلسم على جراحهنّ فاخذنَ يُنهضنَ الهمم ويُنعشنَ القلوب ويُنفّسنَ عن الجميع كُربتهنّ رافعات بنظرهنّ الى صليب الربّ منبع كلّ تعزية وسلوان وحاديات بهنّ الى التسليم الى ارادة الله

قضت الراهبات نحو شهرين في هذا الحبس يقاسينَ ضُروب الآلام لا ينلن من القوت الّا ما لا يفي بحاجتهنّ . وكان عمّال الحكومة يطلبون حجّةً ليحكموا عليهنّ بالموت فلم يجدوا الى ان ادّعوا انّهن أخفين في دارهنّ اعداداً من الجرائد المحظورة وانهنّ كنّ يخالطنَ اعداء الحكومة . فنفت الرئيسة الاخت فونتين هاتين الشكايتين واظهرت بكلّ جلاء انهما اوهى من نسيج العنكبوت وانّ كلّ حياتها وحياة اخواتها مقصورة على خدمة المساكين لا يعاشرن غيرهم ولا يتعاطينَ شيئاً من امور السياسة . وكان جواب اخواتها كجوابها دون خلاف

غير انّ موري واصحابهُ كانوا كالنمورة لا يرضون الّا بدماء فرائسهم فاخذوا يطلبون حججاً على اولئك العذارى القديسات تارةً يدّعون انّهم وجدوا خبايا في زوايا بيتهنّ وطوراً انّهم وقفوا على اوراق سرّيّة الى غير ذلك من الترّهات والسفاسف التي لا يبتدعها غير اوباش القوم . وكانوا مذ شهر نيسان نقلوهنّ الى سجن الدم المعروف بسجن « دي بودي » (des Baudets) فترلّين هناك اعمال الرحمة والحنان مع من وجدنهم من البؤوسين الآنسين ولطّفن اوجاعهم كما فعلن بالسجن السابق

وفي تلك الاثناء دُفع الحكم المُطلق الى ايدي يوسف لوبون ني حاضرة كبرى

التي ارّاس من توابعها ورُخص لـهُ ان يتحكّم في رقاب الملأ كما شاء . . فكان وصولهُ الى مكان مأموريّتهِ في اوائـل شهر أيار وأعلن من ساعتهِ انّـهُ سيُجري الحُكم الصارم في كلّ اعداء الثورة . وللحال ألّف جماعات من الشُرَط والجواسيس فما عتّمت السجون أن ضاقت عن عدد الاسرى

ثمّ نصب المِقصلة لقطع الرؤوس في وسط ساحة المدينة فكان بشكاية بعض المدّعين العموميين يبتّ حكمهُ دون ابطاء فتتوالى عربات المتّهمين من دار المجلس البلدي الى منقع الدم والجلّادون يتناوبون باعمالهم الهمجيّة بينما كان الهلع باسطاً رواقهُ على سائر الاهلين فيلزمون بيوتهم ويتوقّعون نشر القضى

ولم يَنسَ ذاك الوحش الضاري فرائسهُ في مدينة ارّاس وبعد ان ولغ في دماء اهل كمبراي ارسل الامر الى اصحابهِ الى ارّاس ان : « نحتاج الى رؤوس نقطعها فأسرعوا لئلّا تبقى المقصلة فارغة ولا تنسوا الراهبات » . فبلغ الامر في العشر الثاني من حزيران الى ارّاس وذاع الخبر بين الاسرى فعلا الصراخ وتصاعد العويل فكانت ساعة من الكآبة والجزع لا يستطيع القلم ان يصفها اذ كان يُدعى كلّ اسير باسمهِ

وكان اوّل المدعوّات ليركبن عربات الموت جملةً من شريفات المدينة فأجهشنَ بالبكاء وغشي عليهنّ لشدّة الخوف فتأثّرت الراهبات من هذا المنظر وكأنّ وحياً من السماء حلّ على رئيستهنّ فتقربت منهنّ وقالت بصوت جهور : « اكففن الدمع وكنّ مطمئنّات فانّنا نحن نكون ختام الضحايا » . فسمعت النساء تلك الــ... ولم يعلمن ما فيها من الصحّة ولاسيّما انهنّ السابقات الى كمبراي فلا شكّ انـ... يسبقن ايضاً الى القتل

ولما دُعيت الراهبات بعد ساعات ركبن العجلة بكل ... وتؤدة وعيونهنّ الى السماء وفي ايديهنّ سُبحة العذراء كنّ يتلونها في الطريق ويطلبن من الله ان يتقبّل ضحيّتهنّ ويفدي بدمهنّ رفيقاتهنّ ويمنّ على ... السلام للوطن . فلماً بلغن نصف الطريق التقين بالعربة التي سبقتهنّ و... ...يها قد انكسر فاضطرّ السائق الى ان يصلحهُ فكرّرت الرئيسة قولـ... ...سامع السيّدات : « لا بأس عليكنّ فكنّ مطمئنّات لأنّنا نحن خاتمة كلّ الضحايا »

ثمّ سِرنَ وهنّ الآن في مقدّمة الجميع فبلغن كمبراي في ضُحى اليوم السادس

والعشرين من حزيران ١٧٩٤ فقادهنّ السائق الى الحبس المختص بالأئمة الذين قرب فيهم نفوذ الإعدام وكان المدّعي العمومي الدعوّ كوبريار قد سبقهنّ اليه ليلقيهنّ فيه ريثما يأتي دورهنّ للمحاكمة لكن السجّان أبى قبولهنّ لضيق السجن عن الاسرى. فكان ذلك داعياً الى تعجيل محاكمتهنّ وموتهنّ وتتمّة لنبوّة الطوباوية فونتين بانهنّ خاتمة الضحايا

فحملوهنّ الى الدار الاكليريكيّة سابقاً لينتظرنَ اجتماع المجلس فدخلنَ ساعةً في معبد الدار المجرَّد من اقداسهِ وجدَّدنَ تقدمتهنّ للربّ الذي كان قدّس ذلك المعبد بقربانهِ .وبعد هنيهةٍ استأنفنَ السير الى المجلس الذي انعقد للنظر في امرهنّ وكان غوغاء الشعب حول نادي القضا . يشاركون القضاة بجلبتهم ويحبّذون حكمهم على المتّهمين . لكنّهم على خلاف العادة اذ رأوا اولئك الراهبات وعلى وجوههنّ سمة الحشمة والوقار والسكينة لزموا السكوت التامّ

تجدَّد استنطاق الاخوات دون جدوى ولم يجد سُعاة لوبون واحزابهُ موجباً لحكم الإعدام لبطلان الشكايات السابقة القريّة الّا انّهم عادوا اخيراً الى القسم المطلوب منهنّ ولم يألوا وسعاً في اقناعهنّ بابرازهِ لكنهنّ بازاء الموت ثبتنَ على امانتهنّ لصوت الضمير وكرّرن لآخر مرّة انّ الذمّة لا تسمح لهنّ بقسمٍ كهذا . فللحال صرخ قضاة السوء : «فلتحيَ الجمهوريّة ولتَمُت أعداؤها» . وكانوا ينتظرون ان يجد هتافهم صدًى في الحضور فلم ينبسوا ببنت شفة وغلب على قلوبهم الأسف والحنان لكنّهم لم يجسروا على معارضة الحكّام

ولما نزلت الراهبات درجات المجلس أعدّوهنّ لقطع هامتهنّ . فأماطوا القناع عن رؤوسهنّ . وحاولوا ان يوثقوهنّ بالحبال فرأى احدهم في ايديهنّ سبحة العذراء . فاراد ان ينتزعها من ايديهنّ امّا هنّ فتشبّثنَ بها ولم يسمحن ان يجرّدهنّ عنها . فاعتدّ المباشرون ذلك خرافةً واخذوا السابح ووضعوها على رؤوسهنّ سخريّةً وتهكّماً ولم يدروا ان ذلك الاكليل كان رمزاً عن التاج المعدّ لهنّ قريباً في السماء كما كانت في اوائل الكنيسة الفتيات الشهيدات يسرنَ الى منقع الدم واكاليل الزهور على رؤوسهنّ . فزاد تأثر الحضور لهذا المنظر

وصلت الشهيدات الى لحف العجلة التي كانت المقصلة فوقها فجثونَ على الركب

مستحرّات بالصلاة ثم صعدنَ بملء الثقة والشهامة فأُنفذ الحكم اولًا في الاخوات الثلث قبل رئيستهنَّ وهي تقوّيهنَّ بنظرها وصلاتها . وقبل ان يُقطع رأسها التفتت الى الجمهور قائلةً: « أعيروني سمعكم أيها المسيحيّون أننا نحن آخر ضحايا حكم الثورة وغدًا ينتهي الاضطهاد وتُخرب عمّا قليل هذه الصقالة وتُزال المصقلة وتعود هياكل الربّ الى رونقها ومجدها »

وما مرَّ على قولها بضع ثوانٍ حتّى انتقلت روحها البارّة الى الاخدار السماويّة . وأُلقيت جثث الشهيدات في الحفرة العموميّة من مقبرة المدينة . ولمّا بلغ كلام الرئيسة مسامع يوسف لوبون استغرب ضحكًا وقهقه معهُ كلُّ اصحابهِ ناسبين قولها الى الهذيان بل امر لوبون بان يعدّوا حفرةً واسعة لاربع وستّين شخصًا عوّل على إعدامهم . لكنَّ عوائق شتّى حالت دون رغبتهِ فلم يستطع ان يتمَّ قصدهُ فعلًا . ثمَّ وقع عيد الجمهوريّة فخرب الشعبُ صقالة المقصلة في ١٣ تموز وفي حساب لوبون أنهُ يعيدها بعد العيد فخاب ظنّهُ بل اقيم عليه دعوى شغلتهُ عن اسراهُ . وفي تلك الاثناء دارت الدورة على روبسپيار في باريس وظفر بهِ اعداؤه واعدموه مع اخيهِ في ٢٧ تموز من السنة والقوا القبض على انصارهِ

فبلغ الخبر الى كمبراي في غرّة آب وفي ثاني يوم اوقفوا يوسف لوبون وزجّوهُ في الحبس واذاقوهُ مرارتهُ كما فعل بغيره . ولم يزل يتنقّل من سجن الى آخر مدّة ١٤ شهرًا ممقوتًا من الجميع مرعوبًا بتخاس ضميره الى أن حُكم عليه بالإعدام بنفس المصقلة التي أعدم بها المئين من المظلومين في ١٥ ت ١ سنة ١٧٩٥ وازدحم الناس حول جثّتهِ فرجموها بالحجارة تشفّيًا . ثمّ فُتحت بعد قليل الكنائس وأُعيدت المواسم الدينيّة وهكذا تمّت بالحرف نبوّة الطوبويّة الاخت فونتين

وكما حلَّ غضب الله بالمضطهدين كذلك اراد تعالى تمجيد ابرارهُ وبعد الفحص المدقّق عن حياة تلك الشهيدات وسموّ فضائلهنّ [illegible] في موتهنَّ وذلك في مدينتي أرّاس وكمبراي رفع اساقفة فرنسة الدعوى [illegible] رومية التي اعادت فيها النظر وتصفّحت كلَّ الكتابات التي [illegible] العيانيّون وغيرهم الى ان لم يبق ادنى ريب في صحّة ما روتهُ الدواوين الخاصّة فاثبت اخيرًا الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بارادتهِ السنيّة وحكمهِ السامي قداسة تلك النفوس المبرورة ونظمهن في سجل

اولياء الله في عداد الطوباويات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أُقيمت في رومية حفلات شائقة في السنة المنصرمة تكررت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحالية. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أُكرمت منشئة جمعية راهبات المحبة الطوباوية دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلنَ ما نالتهُ من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيرية ومساعيهنَّ المبرورة زادهنَّ الربّ عدداً وفضلاً لمجد كنيسته وخير عباده

---

# تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

## لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنتهِ الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالاً بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيهِ ان اول من اعتنق النصرانيّة هو الامير عبدالله ذكرهُ الرحالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنهِ. ولمّا كنتُ قد تجرّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلت اليهِ ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

« من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميلهِ الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيّة سلطتهِ طالما حاولوا نزعها من يدهِ

---

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقيّة اللمعيين ولاسيا الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

• وكان الحاكم المعروف بامير الدروز مطلق التصرُّف في بلاده لكنه يخضع لوالٍ تركي ويقدم له عسكرًا عند الحاجة ولم يكن خضوعهُ هذا ليؤثر براحته لولا ما كان يلقاه كل يوم من الترك من التضييق والتحكُّم مما يُلجئهُ الى استرضائهم بالمال الكثير

• على ان الامير عبدالله لم يستطع ارضاء ولاة صيدا والشام مع كل ما ابداهُ من التحوُّطات لكثرة مطامعهم. وكان اشدَّهم طمعاً والي الشام الذي عُرف بالقوة والجسارة حتى تمكَّنت هيبتهُ من قلوب الناس وكاد يفوق الصدر الاعظم سطوةً ونفوذًا وزادهُ عُجباً تغلُّبهُ على العصاة من عرب فلسطين وغزَّة ولذلك صمَّم الصدر على عزله خضدًا لشوكته

• ورأى الوالي المذكور انه اصبح الحاكم بامره في البلاد فاخذ يتفنَّن بإرهاق الدروز وحكامهم بانواع المظالم والمغارم حتى اذا لم يستطيعوا القيام بضرائبه الفاحشة اتفق مع والي صيدا على نزع الحكم من يد الامير عبدالله واسرتهِ الذي ورثوهُ كابرًا عن كابر وتسليمهِ الى أُسرة اشتهرت بالعداء والبغض لهم

• فجمع هذان الواليان العساكر واتبعها النجدات لقتال الامير واحلافهِ واضطرَّ الاميرُ الحاكم حفيد فخرالدين ان يترك قصره ويتوارى مع امراء البلاد في الغابات والجبال. اما الامير عبدالله فانه وقع في ايدي اعدائه الذين دبَّروا المكائد ونصبوا له الأشراك. فكان حزن النصارى شديدًا ولاسيما المرسلين الكبوشيين الذين اجلَّهم الامير وقرَّبهم اليه وبنى لهم ديرًا في إقطاعتهِ وكان يريد اعتناق الدين المسيحي بعد ان يتلقَّن مبادئ اسراره المقدسة ويصير اهلًا للعماد

• وبينما كان ذلك الامير والشيخ الوقور ملقًى في ظلمة السجن وقد اصبح محرومًا من ضروريَّات المعاش كان المرسلون يحتالون لإيصال [illegible]ات اللازمة لحياتهِ وخاف الامير ان يهلك جوعاً وتذهب ارشادات هولاء [illegible] باطلًا فطلب المعموديَّة فمنحهُ احد خدَّامهِ الموارنة بارشاد المرسلين الا[illegible] وقد اقتبل السرَّ بحرارة وتقوى كما يليق بالمسيحيين الاولين وكانت يد[illegible] مضمومتين وعيناه شاخصتين الى السماء وهما تهطلان الدموع

• واذ ذاك صرح لخادمه الامين بكل شجاعة انه لم يعد يخشى الموت بعد ان نال

الحظ وصار نصرانياً وطلب اليه ان يُبلغ خبر تنصُّره الى الاباء الكبوشيين. فلمّا علم المرسلون بذلك طابت نفوسهم ولم يقتصروا على الدعاء له بجزيل النعمة والحياة العلوية بل بذلوا الجهد في سبيل المعونة فاتّفقوا مع احد التجار على ان يؤدّي الفدية عن الامير. غير ان الباشا لم يكتفِ بها بل شدّد في طلب فدية اتباع الامير كلّهم واذ لم يقدروا على أدائها ظلّ الامير مسجوناً

«واثّرت هذه المعاملة القاسية بابناء الامير عبدالله حتى صار يهون عليهم ان تذهب بيوتهم وأملاكهم وبسلم ابوهم فاخذوا يسعون لتخليصهِ وكان ابنهُ البكر الامير حسين اشجع امير في الدروز فجمع هو واخوتهُ رجالهم ورجال احلافهم وذهب الى الامير الحاكم الشهابي وحمله على ان يجمع اصحابه حتى اذا تمّ حشد الجيش ساروا الى اعدائهم مصمّمين على النصر او الموت وهكذا زحفوا اليهم وكانوا قد تحصّنوا في عين دارة .

«ولم تمضِ ساعتان من الزمان حتى انتصروا عليهم انتصاراً باهراً فقتلوا من ناوأهم وغنموا ما كان معهم لكنهم لم يتعرّضوا لرجال الدولة وعسكرها مخافةَ إغضابها . وبهذا استعادوا حرّيتهم المسلوبة واقطاعاتهم المغصوبة ولم يبقَ غير الامير عبدالله الذي لم يكن في وسعهِ ان يؤدّي فدية المسجونين أتباعهِ الباهظة ولذلك ساقوه الى البصرة القريبة من العجم وكان والي صيدا قد نُقِلَ والياً عليها

« على ان الامير المظلوم كان يعتبر ان عزاءه من الدنيا الحصول على سرّ العماد فلم يرغب سوى الاجتماع بربه في السماء وكان اوّل عمل فعلهُ اولادهُ بعد استعادة إقطاعاتهم انهم بشّروا افاتوا بالمرسلين الذين لم يكفّوا عن عمل الخير في البلاد من ١٧١٠ ايام حدوث الفتنة المذكورة وبناء على اشارة الصدر الاعظم واوامره الشديدة لم يعد والي الشام ولا غيره يُقلقون النصارى والدروز من ذلك الحين» (تمّ المنقول عن رحلة لوقاس)

*****

ان الامير عبدالله هـذا هو ابن الامير قيدبيه ابن الامير ابي اللمع جدّ الامراء اللمعيين وقد اجمع المؤرخون على انهم ينتسبون الى بني فوارس التنوخيين من اشرف القبائل العربية المتنصّرة الذين يرتقي نسبهم الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة. هاجرت هذه القبائل بلاد العرب عند ظهور الاسلام واقامت بجوار حلب ثم انتقلت الى لبنان

في اوائل القرن التاسع وكانت عشر طوائف

ولـما جرى اقتسام البلاد وتفرّق الطوائف اصاب طائفةً من بني فوارس إقطاعةُ المتن فسكنوا اعاليهُ وقويت شوكتهم فيه الى ان نشأ منهم في اواخر القرن السادس عشر امير كبير يُعرف بابي اللمع مؤسس هذا البيت المشهور فاتخذ قرية كفر سلوان دارًا لاقامتهِ واقام ولده البكر قيدبيه في صليما حيث نشأ الامير عبدالله حفيد ابي اللمع وكان وحيدًا لابيه (١

ومن مراجعة رواية رحالتنا يظهر ان الحوادث المذكورة فيها لا تختلف عما جاء في تواريخ الامير حيدر وطنوس الشدياق وغيرهما من التنازع والتطاحن بين الحزبين القيسي واليمني وتواري الامير حيدر الحاكم الكبير وقيام الامير حسين ابن الامير عبدالله زعيم القيسيين وكيف جمع احزابهُ ودهموا اليمنيين في عين دارة حتى ابادوهم عن بكرة ابيهم (٢ الى غير ذلك مما يدل صريحًا على ان الامير عبدالله هو اميرنا اللمعيّ ليس غيره

اما مسئلة وقوعه في الأسر ونفيهِ الى البصرة فانها وان لم تَردْ في التواريخ الوطنية فليست بالامر الغريب وقد رأينا حفيدهُ الامير حسن ابن الامير حسين في صليما يؤخذ اسيرًا ويصيبهُ ما اصاب جدَّهُ من النفي الى البصرة حتى فُدي اخيرًا وعاد الى بلاده عن طريق دمشق بعد غيبة طويلة (٣ . هذا وان الرحالة المذكور كان معاصرًا للامير عبدالله فتقصَّى اخبارهُ ووقف على تفاصيلها من الكبوشيين وغيرهم من الثقات مما فات غيره من المؤرخين المتأخرين

بقيت مسئلة تنصُّر الامير التي هي الغاية من مقالنا هذا فانها وان لم يذكرها غير لوقاس فقط فان لدينا من البراهين والادلَّة ما يؤكد صحة [illegible] رواية هذا الرحالة الغريب وهذه هي:

١ ان المؤرخين قد اجمعوا على ان اللمعيين يعود اصلهم الى بني تنوخ من

---

١) طالع تواريخ الامير حيدر ( ص [illegible] و ٧٢٢ و ٧٣٢ ) وتاريخ الاعيان للشدياق (ص٦٧ و ٢٥٨-٣٠٦) وتاريخ البيطرريني (في المشرق ٦:٧٧٢) وشرشل بك (ج ٣ ص١٠٠) وغيرهم من المؤرخين ٢) طالع هذه الاحداث في التواريخ المذكورة لسنة ١٧١٠ م

٣) تاريخ طنوس الشدياق (ص ٦٨ )

متنصرة العرب وان اجدادهم ملوك الحيرة اشتهروا بدينهم النصراني والإغراق فيه وكانلهم الايادي البيضاء في عمارة الاديرة وتشييد الكنائس (١ . ولما كانوا في الديار الحلبية ارغمهم المهدي ( الخليفة العباسي ) سنة ٧٧٩ م على الاسلام فاسلم الرجال وكانوا خمسة آلاف ونجا النساء وبقين على نصرانيتهن واستشهد رجل فاضل منهم اسمه ليث (٢ ثم رحلوا الى لبنان حتى اذا ظهر مذهب الدروز عضده الامراء وعُرفوا به

وبقي فيهم نزوع الى النصرانية التي كانت تظهر كالنار الكامنة في بعض ادوار حياتهم حتى تنصَّر الامير عبدالله ولم يلبث احفادُهُ ان اعتنقوا النصرانية باجمعهم في اواسط القرن الثامن عشر فيكون هذا الامير قد جاهر بميل عشيرته الموروث و نزعتهم المتسلسلة ولا عجب انهم كانوا يكتمون ميلهم هذا كما فعل الامير فخر الدين المعني فلانهم كانوا في وسط محمدي وحكومة اسلامية والاكثرية في إقطاعة التي كانت من الدروز

٢ً ان لديَّ طائفةً كبيرة من الصكوك والمحرَّرات الموقَّعة بخط الامير عبدالله او الباقية من آثاره الكتابية وفيها ما يدلُّ على مبادئه النصرانية فلا نراه يذكر في كتاباته البسملة ولا نبي الاسلام مما جرى عليه الدروز وسائر بني محمَّد . وسوف انشر شيئاً من هذه الكتابات . وكان شهيد الوطن الشيخ فريد الخازن رحمه الله يقول ان عنده صورة مكاتبات منقولة عن محرَّرات توسكانا بين الدوق والامير اللمعي تشير الى مبدإ الامير النصراني وتبرهن عن ذوقه الغربي كما اننا لم نسمع ولم نرَ في تاريخ اللمعيين ان اميراً منهم جرى على قاعدة الطَّلاق المألوفة عند الدروز ولا تمشَّى على شريعة تعدُّد الزوجات المرعيَّة عند المسلمين

٣ً ان كثيراً من الحوادث التي وردت في رحلات الافرنج لم يذكرها المؤرخون عندنا إمَّا اختصاراً او إغفالاً لها لاشتهارها او لعدم اعتبارهم اهميتها وإما لانه لم تبلغهم اخبارها واذا بلغتهم فلا يجرؤون على ان يكتبوها . فهذه اخبار بعض المشايخ الخازنيين وبطاركة طائفتنا المارونية التي افاض بذكرها ده لاروك الرحَّالة الفرنساوي لم

---

١) طالع مؤرخي العرب وتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٧٣—٩٣) وتاريخ كلدو واثور (ص ٢٠٧) والكولونل شرشل

٢) ابن العبري تاريخه السرياني سنة ١٠٩٠ يونانيَّة

يذكرها الكتبة المعاصرون. وهذه رواية استشهاد الشيخ ابي رزق البشملاني الذي قُطع راسهُ في قونية سنة ١٦٥٤ وإعدام ولده الشيخ يونس الذي مات في طرابلس شهيدًا على الخازوق سنة ١٦٦٦ كما فصّلها هذا الرحّالة باسهاب لم يذكر منها العلامة الدويهي سوى النزر القليل للاسباب التي اوردناها. وهكذا فان المعاصرين ومَن بعدهم لم يذكروا تنصُّر الامير عبدالله لان تنصُّره بقي مكتوماً كما جرى للامير فخر الدين المعني الشهير على يد مرسل من الآباء الكبوشيين او لم تبلغهم أخباره وهو بعيد ولو عرفوا لما تجرأوا ان يذكروهُ في هاتيك الايام ...

٤ ان التاليد التي تتناقلها الاباء عن الاجداد في قريتنا صليما موطن الامير وفي غيرها من القرى المجاورة ان الامير عبدالله كان من الفضل على جانب عظيم وانه هو الذي قرَّب اليه النصارى وجعلهم من خاصّتهِ ورجال دولتهِ. وهو الذي بنى لهم الكنائس والاديرة ووقف عليها الاملاك الواسعة. وعلى الجملة فقد كان حمًى للنصارى اللائذين به لجرِ مغنمٍ او دفع مغرمٍ يقطعهم الاراضي ويمدّ اليهم يد المساعدة حتى نما عددهم وطابت لهم الاقامة في قرى المتن ولاسيا في صليما التي رأت من العزّ والجاه في ايام اللمعيين ما جعلها تُباهي البلدان اللبنانية الكبرى حتى صاروا يقولون عنها في اغانيهم: صليما يا امّ البلادِ

٥ ان من الاثار الدالّة على تديُّن الامير والناطقة بفضلهِ على النصرانية وحبّهِ لها الديرَ الكبير الذي انشأه في دير الحرف يوم كان مقيماً في قصرهِ برأس المتن ووقف عليه الاراضي التي تُقدَّر اليوم بألوف الليرات وقد كتب فوق عتبة باب الكنيسة ما نصُّه:

« بسم الله الحي الازلي الدائم الابدي وبه استعين انشأ هذا الدير [illegible] ان شاء الله برسم طاعة الله وعنايتهِ حضرة الجناب العالي المكرم الامير عبدالله ابن الر[illegible] الامير قيديه الشهير بابن ابي اللمع عفى الله عنهُ بتاريخ ذي الحجة من شهور اثنين [illegible] والف» (١٦٩١م)

وقد كُتب تحته: «عمل المعلم جرجس والم[illegible] والمعلم جرجس الشامي».

والاخبار المروية عن شيوخ بني ابي جوده [illegible] دير الحرف ان الامير عبدالله شيَّد هذا الدير باعجوبة وهي: ان الوباء كان يفتك فتكاً ذريعاً في البلاد فخاف الامير على نفسهِ واهلهِ. فظهر القديس جرجس على جوادهِ للامير ولبعض اهله وهم نيام وقال

لهم: «لا تخافوا انا مار جرجس النصراني صاحب كنيسة الوزّالة» وكان في قرية دير الحرف دير قديم على اسم القديس حلّ به الخراب ونبت في جوانبه الوزّال المعروف في بلادنا . فلما قام الامير ولسرتُهُ من نومهم حدّث كل منهم الآخر بما رآه في الحلم ولسرع الامير فرمّم الدير المذكور وجعل للكنيسة كاهناً يخدمها استقدمهُ من تولا البترون وهو الخوري جرجس الذي اتى بنسيبه خيرالله الزغبي من تولا جد أسرة ابي جوده الساكنة إلى اليوم في دير الحرف وغيرها

٦ والأثر الذي كان في قرية صليما وقد اقيم اقرارًا بفضل الامير عبدالله كُتب على رخامة ناصعة بخط مزركش جميل ووُضع فوق السبيل المعروف بعين احمد وهذا نصُّه:

«انشأ هذا السبيل المبارك حضرة الجناب العالي والمقام السامي الامير عبدالله ابن بلمع المكرم بتاريخ نهار الثلثا من شهر رجب من شهور سنة سبع عشر ومائة والف والحمد لله» (١٧٠٥م)

وقد نُقلت الرخامةُ الى قصر ابناء الامير يوسف اسماعيل في بكفيا بعد ان هدم السبيل احد المخربين الناشين في زمن الحرب الكبرى

٧ المعروف عندنا وعند الاباء الكبوشيين ان الامير عبدالله هو الذي انشأ دير الآباء الكبوشيين القائم الى اليوم في صليما وطن الامير حوالي سنة ١٧١٠م وكان يحب مرسلي الكبوشية فدعاهم اليهِ ووهبهم مكاناً جميل الموقع في اعلى صليما كان يُعرف يومئذٍ بعين بقحة فشيدوا فيه ديرهم على اسم القديس بطرس . واخذ عليهم عهداً ان يكون منهم طبيب يعالج الامرا. والاهلين فضلاً عما يقومون به من الخدمة الدينية . وكان الامراء يقدمون للبادري جعلاً سنوياً من الحاجيات لمعاشه وبقي هذا العهد مرعياً زماناً طويلاً . وفي سجلات بكركي صورة صكّ شراء البادري مخايل الكبوشي الافرنجي رئيس دير صليما من مريم بنت ابي رزق سركيس بن فهد من قرية الشبانيه من بلاد المتن سنة ١١٢٠هـ قطعة ارض في الشبانيه باعها البادري لرهبان السريان الكاثوليك فشيدوا فيها دير مار افرام الرغم سنة ١٧١٠ بمساعي الاب مخائيل الكبوشي الذي تَرجح انه صديق الامير عبدالله ومرشدهُ ومساعدهُ في سجنهِ والساعي في تنصُّره . ومن ثمَّ لا يبقى لنا ريب في انَّ الامير عبدالله اللمعي هو اوَّل امير تنصَّر في لبنان وانَّ رواية الرحالة لوقاس مطابقة للحقّ وشهادتهُ مثبتة لشرف الاسرة اللمعية في سباقها الامراء المتنصرين.

# السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف موغبان ويوسف منسّى اليسوعيين

## تمهيد

قد كثر القال والقيل في هذه الحقبة الاخيرة عن الارواح المتنقلة من هـذا العالم الى عالم آخر وما يُروى عنها من الاعمال الغريبة على يد بعض المتوسطين الذين يتعاطون مناجاتها . فتناقلت الالسنة ذكر هذه الرؤى وأشاعتها الجرائد والمجلات فتباحث الكثيرون في صحّتها فمن ناكرٍ وجودها او ناسبها الى الشعوذة والمخرقات ومن مثبتٍ وقوعها . وربّما حكم الفريقان جزافاً دون انتقادٍ كافٍ وتروٍّ في الامور . فهذا ما حدا بنا ان نبحث في هذا الموضوع افادةً لقرّائنا ودفعاً للالتباس وكشفاً لوجه الحق

ولا بُدَّ في هذه التوطئة ان نعرّف السبيريتسم ونقرّر حدودهُ فنقول ان اسمهُ اللفظي مشتقٌّ من كلمة لاتينيَّة معناها الروح موصولةٍ بصلةٍ دالَّة على المعتقد او الرأي او التخصيص فيكون معنى السبيريتسم علم مناجاة الارواح او المذهب الروحاني كما دعاهُ البعض فيجوز تحديده «معرفة الوسائط للاتّصال بالارواح ومناجاتها للاستدلال على مكنونات الامور وخفايا المعلومات ولاسيَّما اسرار العالم الآخر» . ومنهم من ينعتون هذه المعرفة باسم العلم بل يجعلونها مذهباً دينيّاً مبناهُ على ما يوحي بهِ الارواح . ولهذا العلم او هذا الدين خدَمَةٌ يُدعَون «سبيريت» (Spirites) وهم المتعاطون مع الارواح او المدَّعون بمناجاتها او المتشيّعون لدين الارواح

وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اوّلاً بالاجمال تاريخ السبيريتسم ثمَّ نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد صحّتها ثمَّ نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبنيّ على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكيَّة وحكمها في السبيريتسم (١

١) دونك اخصّ التآليف الفرنساويّة التي وُضعت في هذا الشان

L. Roure: Le merveilleux spirite, *Paris, Beauchesne*, 3$^{e}$ *éd.*, 1919

Le D$^{r}$ Surbled : Spirites et Médiums, 1901

## ١ نظر تاريخي في السبيريتسم

قد طالما حاول الانسان ان يستشفّ اسرار الطبيعة الخفيّة وما يتّصل بالخلائق والارواح المحجوبة عن نظره. فانّ التاريخ يشهد على مساعي البشر في ذلك. وها هوذا الكتاب الكريم روى عن شاول في سفر الملوك الاول (٢٨: ٧-٢٠) استقدامهُ للمرأة ذات التابعة في عيندور وكيف أصعدت لهُ روح صموئيل فأخبرهُ عمّا سيصيبهُ من البلايا. وكان تبعة افلاطون والاسكندرانيّون والأدريون في قرون النصرانيّة الاولى يدّعون باصعاد الارواح. وقد تكرّرت هذه المدّعيات في القرون الوسطى مع ما كان يخالطها من السحريّات والشعوذة الى القرن السابع عشر مع ما تبعها من الظواهر الغريبة لمشايعي جنسنيوس في القرن الثامن عشر

على انّ السبيريتسم لم يبلغ سابقاً ما بلغهُ من الرواج والانتشار في القرن التاسع عشر حيث ثبتت هذه الكلمة لاحد مشاهير الكتبة «انّ الازمنة التي يغلب فيها الارتياب بحقائق الدين هي هي التي تغالي في المعتقدات الباطلة»

وكان مبدأ هذه نهضة السبيريتسم الجديدة في اميركا نحو السنة ١٨٤٨. فانّ ثلاثاً من سيّدات أسرة «فوكس» بينا كنّ في بيتهنّ في قرية هيدسفيل (Hydes-vill) من ولاية نيويرك اذ سمعنَ طرقات سرّيّة لم يستطعنَ كشف معناها وتنبّهنَ الى روح رجلٍ كان توفّي في تلك الدار فسعينَ بمحادثته بواسطة علامات اصطلاحيّة اتّفقنَ عليها وبها اطّلعنَ على بعض امور الروح المذكورة التي قالت لهنّ انّها روح رجل اسمهُ شرل رَين (Ch. Rayn) مات قتلاً ودُفن في تلك الدار قبل سنتين. فاستأنست النساء بتلك الروح وظلّت تتردّد عليهنّ بل تبعتهنّ الى روشستر والى نيويرك لمّا حللنَ فيها

---

Le D^r Grasset : Le Spiritisme devant la Science, *Paris. Masson*, 1909 = Id. : Idées médicales, *ch. sur l'Occultisme*

D^r Pierre Janet : L'automatisme psychologique *.Paris, Alcan*, 1903

**A. Arcellin** :La dissociation psychologique: Etudes sur les phénomènes inconscients

**Castelein** : Psychologie, *Bruxelles, Devit*, 1904. *L'Appendice*

ثمَّ بعد مناجاتهنَّ للروح المذكورة وجّهنَ نظرهنَّ الى ارواح غيرها ظهرَت لهنَّ على طرق شتَّى وربَّما حضر الغرباء هذه الجَلَسات فكانوا يحدقون حول طاولة يرقبون الظواهر الروحانيَّة فيشعرون مسّاً على وجوههم واكتافهم ويشاهدون سحابةً من المائع رماديَّةً ويسمعون اصواتاً وجلبةً في مكان اجتماعهم. فكان لشيوع هذه الحوادث تأثير عظيم لم يشكّ بوقوعها غير القليلين الذين نسبوا تلك الامور الى حركات طبيعيَّة وضَرَبات صناعيَّة بالأقدام على الالواح او على الطاولة

ومما لحظوا ان بعض الحاضرين لتلك الحفلات كانوا يلعبون فيها ادواراً مختلفة فمنهم مَنْ لم يُكترَث لوجودهم او غيبتهم على خلاف غيرهم الذين كان حضورهم محتوماً واجباً لا تتمُّ دونهم أعراض الارواح فدعوا هؤلاء الآخرين باسم الوسطاء (Médiums) لتوسّطهم بين الارواح وعالم الكون لولاهم لا تُبدي الطاولات حركةً وتبقى الارواح جامدةً ساكتة. وما لبث هؤلاء الوسطاء ان زادوا عدداً وانتشروا في كلّ انحاء اميركة فتهافت عليهم العموم ليدرك بواسطتهم اسرار العالم الآخر ويناجوا الارواح. ثم زاد الهوَس وتفاقمَ الداء حتَّى بلغ اوربَّة وكان اوّل فشوّهِ في سكوتلندة سنة ١٨٥٢ ثمَّ في لندن في العام التالي ومنها خطا الى المانية ثمَّ فرنسة. وها هو منذ بضع سنين قد ظهر في مصر وانتقل منها الى اقطارنا السوريَّة

وقد وجد السبيريتسم في فرنسة رجلاً يُدعى ألان كرديك (Allan Kardec) واسمهُ الصحيح لاون هيبوليت ريفايل (L. H. Rivail) تبطَّن كل اسرارهِ واقام نفسهُ داعياً لمذهبهِ وان شئت قل رسولهُ ونبيَّهُ. وُلد المذكور في ليون سنة ١٨٠٤ وتخرَّج في سويسرة بين البروتستانت. فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جعل يتعاطى كلّ ممارسات المذهب الروحانيّ بل ادّعى انَّ الارواح سلَّمت اليهِ مقاليد اسرارها لينشرها بين الملأ فأخذ يدوّن ما تلقّنهُ الارواح عن عالم الغيب ونشر تلك المعلومات سنة ١٨٥٧ في تأليف دعاهُ « كتاب الارواح » واردفهُ بكتاب الوسطاء ثم بانجيل السبيريتسم وانشأ مجلّة تبحث في المذهب المذكور. وكانت وفاتهُ في باريس سنة ١٨٦٩.

وفي اثناء ذلك كان الكونت اجينور دي غسبارين ألَّف كتابهُ في الطاولات الدائرة وهو يُلقي المحاضرات عن المذهب الروحاني. فيتحامل كثيرون الى ممارسة هذا الفنّ الجديد واتخذوه كلهاتٍ حتى أصبح كلمةً متداولة

## ٢ المرويّات من اعمال السبيريتسم

لا يسعنا ذكر كل ما يروى من اعمال الارواح واحصاؤها فردًا فردًا وانما ندوّن اخصّ ما ينسبونهُ اليها

١ فمن ذلك وهو اكثرها شيوعًا تدوير طاولة او سكينة او قبعة او قنينة او سلّة وما اشبه ذلك باجتماع عدّة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفردًا

٢ ومثلها انتشارًا طرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحًا دلالةً على اجوبة مقصودة. عند وجود حلقة من الاشخاص حولها او وسيط من الوسطاء.

٣ واقل شيوعًا مما سبق كتابة الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم. بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم

٤ او يجعلون ايضًا قلمًا في يد الوسيط في يقظتهِ او نومهِ فيجري القلم كاتبًا على الورق ما يوحى اليهِ من قوة اجنبية دون معرفتهِ ومشيئتهِ الشخصية

٥ ومثلها ندرةً ان يتكلّف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهًا او بالاشارة على ما يُلقى اليهِ من الاسئلة باسم الروح الساكن فيهِ

٦ واغرب من ذلك وانْدر وَضْع ورقةٍ او لوح بعيدَين قليلًا عن الوسيط وعليهما قلم وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة

٧ ومثلها غرابةً وندورةً ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسهِ من مكان الى آخر

٨ ان تُسمع صوت طرقات على جدران المحلّ حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث

٩ واغرب من كل ما سبق ظواهر من النور وأشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتغراف او يأخذ بعض آثارها

## ٣ صحّة المرويّات المذكورة وانتقادها

قبل ان نبحث عن اسباب هذه المعلولات والظواهر دعْنا نفحص اولًا صحّة وقوعها وهل هي حقيقة كما يزعم الوسطاء مسبَّبة عن الارواح او هي بالحري مغاليط طبيعية واعمال صناعية لئلا نخوض في طلب امور وهمية خيالية لا حقيقة لها ومن ثمّ لا نقبل ولا ننفي ما يرويهِ الرواة بحكم سابق وريثما تلوح لنا الحقيقة بتمامها. فانّ العلماء الاثبات لا يُبدون حكمهم الّا على الامور الراهنة الثابتة بعد تقصّيها تامًا

وهذا ما جرى لاحد مشاهير الطبيعيين وليم كروكس (W. Crookes) مع الآنسة فلورنس كوك (Miss Florence Cook) التي كانت تدَّعي بالملاقات مع روح امرأة اسمها كاتي كنغ (Katie King) عاشت في عهد شرل الثاني وعُرفت باسم اني مورغان (Annie Morgan) . ففحص العلّامة كروكس تلك الرؤى المزعومة المتجسّدة ونشر ملحوظاته فيها دون ان يستنتج منها نتيجة مقرَّرة ولم يشأ ان يبتّ حكماً في ذلك ثمَّ لحظوا سنة ١٨٨٠ حيلًا تحايلت بها المس فلورنس كوك . وعليهِ لا يمكن الاعتماد على هذه الامتحانات وان كان اصحاب السبيريتسم لا يزالون يشيرون اليها

ثمَّ جرت في فرنسة امتحانات أخرى لم تأتِ بنتيجةٍ مقنعة واشهر تلك الامتحانات ما تولّاهُ بعضهم في مونفرت لاموري (Monfort l' Amaury) بفحص مدَّعيات امرأةٍ وسيطةٍ كانت تزاول الطبّ اسمها اوسابيا بلادينو (Eusapia Paladino) وذلك بحضور العالمَين الطبيعيين فلتاريون ودي روشاس . وكذلك امتحن الدكتور ريشه (M. Richet) وسيطاً آخر في بستان كرمين (Villa Carmen) قريباً من مدينة الجزائر . ومثلها امتحانات أخرى اجراها اعضاء المكتب البسيخولوجي العامّ في السنين ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ بحضور بعض مشاهير الاساتذة كالعلماء يورفتش (Yourevitch) وبرانلي وكرتيه ودرسُنفال وريشه فعاينوا ما ادَّعته الوسيطة المذكورة اوسابيا بلادينو لكنَّهم لم يتحقَّقوا صحَّة مزاعمها ولم يمكنهم الّا ثلث دفعات ان يمنعوها بقبول بعض الاحتياطات لتصحيح قولها بل باغتوها غير مرَّة واكتشفوا بعض حيلها

هذا وانَّ العلماء الذين عُهد اليهم فحص هذه الامور الغريبة وجدوا في مراقبتها مشاكل عديدة وليس كلامنا هنا عن العمليَّات البسيطة كحركات الطاولة وطرَقاتها لكن عن حوادث السبيريتسم الغريبة . واوّل ما حال دون فحوصهم ان الوقائع المذكورة لا تجري طَوع مشيئتهم اذ لابدَّ من وسيط بينهم وبين الظواهر الواجب فحصها . وكثيراً ما يعيا الوسيط عن إبراز الاعمال المزعومة . واذا اتمَّ فعلًا شيئاً منها يُقيّد العلماء في فحصها بشروط تخلُّ بفحصهم . فمن ذلك ان تلك الظواهر لا تحدث الّا في ظلمة نصفيَّة او ظلمة تامَّة ممَّا يمنعهم عن اثبات الامر كما يجب

وممَّا يعوق العلماء عن الفحص المدقّق لهذه الرؤى الغريبة مَكر الوسطاء وغشّهم فمنهم من يرتزق بالشعوذة وملاعيب السيمياء اي السحر الحلال . ومنهم من يُخدَعون

بالاستهوا. ويخدعون الناس دون مشيئتهم بسبب تأثراتهم . والاولون لا يُحصى عددهم فان في المُتخرقين والنصّابين رجالاً بلغوا الغاية في اختراع اعمال الشَّعبذة . فكم يُخدّع الناس بأعمالهم وهم ينسبونها الى السحر وليست هي حقًّا سوى حيَل يُجرونها بخفّة عجيبة وحذاقة غريبة يندهش بها الناس. وقد شاع في اميركة المحتال مُملِر (Mumle:) كان يُذهل العموم بحيلهِ . ومثلهُ الفرنسويّ بوغه (Buguet) فان هذا ادّعى ايضاً انّهُ يستطيع ان يصوّر بالشمس أرواحاً فيجسّمها وما كانت تلك الارواح سوى مصنوعات من اللفائف او تقاطيع الكرتون كان يخفيها ويأخذ صورها دون ان يشعر بهِ احد . فهذا انكشف خبثهُ وحُكم عليهِ لمكرهِ لكنَّ الذين عاينوهُ لم يزالوا موقنين بصحّة مرويّاتهِ

واعظم ضرراً من السابقين الخادعون المخدوعون فانَّ مثل هؤلاء يغلب عليهم الشعور والحسّ حتّى يحملهم الوهم الى تأكيد امور لا حقيقة لها الّا في مخيلتهم . فمن جملة هؤلاء الفتاة الستّاة حنّة روثا (Anna Rotha) في المانية . والمسمّى سلادا (Slada) من اشهر وسطاء القرن السابق بكتابتهِ على الواح السُّبّورات فوجدوهُ ابدل لوحاً اسود بلوح آخر مكتوب قبلاً . والمسمّى شرل إلدريد (C. Eldrid) الذي كان يصوّر اشباحاً روحيّة جعل صورها في علبةٍ دسّها في الكرسيّ الذي يجلس عليهِ . والوسيطة المذكورة اوسابيا في كمبريج ثبت خداعها في عشرين جلسةً حضرها الجمهور . وغير هؤلاء كثيرون تحقّق مكرهم وذلك ما دفع الدكتور غراسه (Dr Grasset) الى ان يُعلن وقوع الحيل المتعدّدة في اعمال وسطاء السبيرتسم مع صعوبة مراقبتهم . والدليل على صحّة قولهِ انَّ الاعمال العجيبة التي يدّعي بها اصحاب السبيرتسم تكاد تتلاشى عند اتّخاذ المراقبين لهم الوسائلَ الفعّالة لكشفِ حِيَلهم . وربّما امتنع الوسطاء عن كلّ عمل اذا شُدّدت عليهم المراقبة

وخلاصة القول انَّ ما ذكرناهُ تحت الاعداد الاربعة الاولى لا يُمكن نكرانهُ ولا شكّ في وقوعهِ . وبقيّة الظواهر مشكوك في صحّتها لاسيّما الهَبوات النوريّة والشهب المنيرة وكذلك ظهور الاشباح ورؤى ارواح هيوليّة سواء كانت صورتها تامّةً كشخص كامل او جزئيّةً كظهور يدٍ او ذراع او عضو آخر . ومثلها تصوير الارواح المذكورة شمسيًّا او طَبع رسومها في البرافين او الآجرّ فهذه المرويّات وغيرها

من شكلها لم تثبت الى الآن بصفةٍ علميةٍ وفي عدّة حوادث استطاع المراقبون ان يكتشفوا حيلاً لاذ بها هؤلاء المدّعون بالمذهب الروحاني . فهذا هو رأي الدكتور غراسه الذي درس كلّ هذه الظواهر الغريبة . ويوجّج وقوع الدهاء والحيلة في انتقال بعض الاثاث من مكان الى آخر دون مسببها ظاهراً . وكذلك طرقات الطاولة على الحضيض والصّفعات على الجدران او بعض الآنية . وانّما أشكل عليه امرُ الوسطاء ذوي الاستهواء . اذ لم يتأكد فيهم الخداع ولعلّهم مخدوعون . ومثلهُ المسيو مكسويل (Maxwell) الذي انعم النظر في كلّ هذه الحوادث السبيريتيّة فانهُ بعد استقرائها والبحث عن صحّتها نسبها الى الخداع فختم بعضهم قولهُ بهذا الحكم النهائي : «لقد يُحدق بكل هذه الحوادث الغريبة شبهةٌ يُستشفُّ من ورائها الشعوذة والحيَل»

## ٤ تفسير الحوادث الغريبة المنسوبة الى السبيريتسم

١ لمّا اعتبر بعض الكتبة ما تحقّقهُ قومٌ من العلماء عن خُبث اصحاب السبيريتسم وتحايُلهم لم يعودوا يصدّقون من اعمالهم شيئاً بل نسبوها كلّها الى الحِيَل والشعوذة والاوهام . على اننا نرى في حكمهم هذا مبالغةً بيّنة لأنّهُ لا يمكن جحود بعض الظواهر ونفي صحّتها

٢ ومنهم حزبٌ آخر على عكس الاوّلين وهم المتحازون الى جانب السبيريتسم وانصار مذهبهم الروحانيّ فانّهم يرون في الظواهر المذكورة اموراً عجيبة تأتي بها الارواح لتجعل بينها وبين البشر علائق وديّة باطنة مفيدة لحياتهم . هذا رأي لاون دنيس خلفُ ألان كرديك وقال بعض تبعتهِ :

« إن كانت الطاولات تدور او تطرق الارض بقوائمها . ان تحرّكت الاقلام فكتبت على الالواح . ان لاحت الايادي في الفضاء ان ظهرت الاشباح للعيان . ان تكلّم الوسطاء إضطراراً فليس ذلك لإلهاء العموم وترويج الناس وإنّما هو دليلٌ على انّ ارواحاً مجرّدة عن اجسامها تسعى بالاتّصال بعالم الاحياء وهي بهذه العلامات الحسّية تُعلن العموم بحضورها وباستعدادها لخدمتهم فلذلك تجيب على اسئلتهم . . وقد نشأ السبيريتسم من رغبة الاحياء في البلوغ الى موتاهم الاعزّاء والاجتماع بهم ليتحادثوا معهم ويقفوا على مصيرهم في عالمهم المجهول ويستفيدوا منهم احوال ما وراء القبر . وقد لبّت الارواح الى مبتغى البشر وهي تظهر لهم لتقدم تعزيةً وسلواناً وتنشّط قلوبهم وتنير عقولهم»

وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحانيّ وكيف تستطيع ارواح مجرّدة

عن المادّة ان تتّصل بعالمنا هذا الهيولي وبالبشر المتجسّمين ؟ يجيبونك بقولهم : انّ للجسم البشري مائعاً يدعونهُ بالعنصر الكوكبي (corps astral) او العنصر الملحق بالروح (périsprit) يستطيع الانسان ان يبعثهُ من جسمهِ اذا شاء ويمكن الوسطاء توجيهُ بنفوذ الارواح . فهذا المائع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض وينقلها من مكان الى آخر . فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المائع في حوزة الارواح التي تستمدّهُ لغاياتها تارةً وحدهُ وتارةً ممتزجاً بالمائع الكوني المنتشر في كلّ العالم وبهِ تتمكّن الارواح من إبراز مفاعيلها العجيبة وصورها المختلفة . وربّما اعار الوسطاء مائعَ جسمهم للارواح فيصيب الوسيطَ حينئذٍ انحطاطُ قوًى وضنكٌ عظيم يكاد ان يُتلفهُ

هذا ما يقولهُ انصار السيريتسم . امّا العُقلاء والعلماء الثقة فيرون في تفسيرهم السابق تعليلًا بعيدًا عن الصواب . وقبل كلّ لا يرضى عقلٌ صائب بما يزعمهُ اصحاب المذهب الروحاني عن استعداد الارواح لخدمة البشر ايًّا كانوا وكيفما شاؤوا . قال السيّر مورين (A. Morin) العالم الشهير : « لا اظنّ انّ ارواح البشر بعد تجرّدها من اغلال جسدها تتوق الى ان تستبطن قطعةً من الخشب كالطاولات وغيرها وتُعلن حضورها بحركاتٍ هزليّة دنيئة مستحيلة كحركات الطاولات » . وقال عالم آخر السيّر بابينه (Babinet) : « انّ عدد الوسطاء في اميركا يبلغ ستّين الفاً أفليس القول بانّ ستّين الفاً من مشاهير الاموات هم الآن طوع بنان الوسطاء من الاقوال المُضحكة التي توجب النفي والسُخريّة »

وزد على ذلك انّ السيريتسم حتّى الآن لم يثبت مدّعياتهِ بالبيّنات الصادقة . فانّ الارواح التي يزعمون أنها لفلان الشاعر ولفلان الكاتب ولفلان السياسي لم تثبت هويّتها بالدلائل المقنعة والحجج الدامغة . فانّ ما تفوه بهِ من الاقوال والآراء انّما هو صدى افكار الوسطاء او الحضور وليس صورة افكار الاشخاص المزعومين . قال السيّر جانه (Mr Janet) : « ان كورنيل الشاعر الفرنسويّ الشهير اذا استحضرهُ الوسطاء وأنطقوهُ بالشعر لا يأتي الّا بشعرٍ سخيف ركيك اللفظ مبتذل المعنى . واذا استحضروا بوسويه الخطيب المصقع يجعلون في فمِ خطباً ينبذها أدنى الواعظين »

وقد ادّعى احد الوسطاء الاميركيين انّ روح ديكنس الروائي الانكليزيّ

الشهير قد حلّت فيهِ واوحت اليهِ بانجاز احدى رواياتهِ التي حال الموت دون اتمامها . فلما أنجزها أجمع المنتقدون انّ تتمّة الرواية بعيدةٌ عن انشاء ديكنس وبلاغة كلامهِ وانسجام عبارتهِ . ثمّ انّ فصلاً من هـذه الرواية كان بقي بين اوراق ديكنس لم يُطبع فهذا الفصل لا يوجد في قسم الرواية التي تولّى كتابتها الوسيط المذكور وذلك دليل قـاطع على انّ روح ديكنس لم تنشئ خاتمـة الرواية كما زعم الوسيط الاميركي(١) . ولّما حضر العلّامة وندتُ (Wundt) جلسةً من جلسات السبيريتسم حيث استحضروا بعض ارواح كبار الرجال وجدهم جميعاً من اهل الطبقات السافلة الدنيئة التي لا يجوز ان تُنمت بطبقة عظام الرجال

وما تحقّقهُ اهل النقد انّ الارواح المزعومة تسلك في اقوالها وافعالها مسلك الوسيط عينهِ فتجري على افكارهِ وتمثّل اخلاقهُ وكلامهُ . وفي بعض الاحيان تظهر هذه الارواح مهتمّةً في تصوير افكـار الحضور واحوالهم . فاذا كان الحضور من العلماء تسعى الارواح بمجاراتهم في العلوم الراجحة واذا كان الحضور من رعاع الناس جرت الارواح على منوالهم وسفالة افكارهم . وتكون اجوبة الارواح موافقة لما ينتظرهُ القسم الاكبر من الحضور حتّى انّ بعض المنتقدين زعموا انّ تلك الاجوبة يستمدّها الوسيط من الحضور فيعيرها الارواح

ويؤيد هذا الرأي ما كتبهُ المسيو فلماريون الطبيعي المعروف بعد ان كان هو عينهُ احد الوسطاء . في خدمة ألان كرديك فانهُ لمّا استحضر روح غاليليوس الشهير وطلب منهُ رأيهُ في تكوين الافلاك وعلم الهيئة وذلك في خلال سنتي ١٨٦٢و١٨٦٣ كان جواب الروح المزعومة صدى افكـار فلماريون وآرائهِ السابقة ليس الّا . وقد نشر صاحب الكتاب الروحاني المطبوع في مصر ما رُوي عن روح غاليليوس في الفصل الثاني (ص ٢٠٠ — ٢١٣) . وقد أقرَّ بذلك فلماريون في ٩ تمّوز سنة ١٨٩٩ في منشورات السياسة والتواريخ الدولية وفي كلامهِ عبرةٌ للمعتبرين قال :

« اني كنت وسيطاً لألان كرديك وقد نشر هذا في كتابهِ المدوّن بسفر الخليقة الفصول الطبيعيّة التي كنتُ على زعمهِ التقيتُها من روح غاليليوس واضيتُها انا باسمي . وليست هذه

١) اطلب ما كتبهُ في ذلك الدكتور سوزيلد (ص ١٥٦ وسجلّات علم البسيكولوجية في ١ حزيران سنة ١٨٩٢ ص ٦٠)

الفصول الّا صورة خواطري الشخصية والافكار الشائعة وتتشذ بين العلماء بخصوص السيّارات والنجوم وتكوين الخليقة واني لم استفد شيئاً البتّة من روح غاليليوس »

ومثل فلمّاريون احتجّ عالمٌ آخر المسيو فكتوريان سردو (V. Sardou) على ألآن كرديك الذي ادّعى انّ الروح اوحى بمعلومات فلسفيّة مستقلّة فقال المسيو سردو انّ تلك الآراء كان سبق هو نشرها وادرجها في كتب السبيريت فانها آراؤه ليست تعاليم الارواح

وقد ثبت اليوم بعد الامتحانات العديدة انهُ لا يوجد مطلقاً حقيقةٌ واحدة من حقائق الفلسفة والدين والآداب قد ابتكرتها ارواح السبيريتسم فانّها كلّها متضمّنة في تآليف الفلاسفة او في كتب التعليم المسيحي . واذا عرضوا على تلك الارواح مسائل عويصة فلسفيّةً كانت او علميّةً تتملّص منها دون جواب واضح

واغربُ من ذلك انّ الارواح المزعومة التي يعوّلون عليها لمعرفة حقائق العالم الآخر لا تتّفق في اجوبتها بل في كلامها تناقض ظاهر حتّى في اعظم الامور شأناً فيما يخصّ مثلاً عود الارواح الى اجسادها فانّ بين ارواح الشعوب السكسونيّة وارواح غيرها آراء مختلفة فهولاء ينكرون واولئك يثبتون

وربّما ظهرت اكاذيب هذه الارواح وتلفيقاتها . وهاك مثالاً يدلّ على قولنا : كانت المدعوّة تراقوس سبيث وسيطةً للارواح فأتاها يوماً نبأ روحاني بموت احد المسجلين الايرلنديين اسمهُ بيتر روني (Peter Roony) قال الروح ان المذكور انتحر رامياً نفسهُ تحت عجلات السكّة الحديديّة . فما اشدّ ما كان اندهالها اذ تأكدت بعد اربع سنوات سنة ١٩١٤ انّ المذكور كان حياً يُرزق . فعلمت ان الروح خدعها

ولنا امثلة عديدة على كذب الارواح روتها جريدة البشير في ردودها على المقتطف وخصوصاً في ما يختصّ بالحقائق الدينيّة التي كانت الارواح تنكر وجودها ثمّ تحقّقها بعد الإلحاح عليها وتبكيتها على كذبها

فلا يمكن اذن الإركان الى اجوبة هذه الارواح . قال الدكتور ف . دافس (Ph. Davis) : « ها انذا منذ عشرين سنةً ادرس مناجاة الارواح ففي هذه المدّة كلّها لم يمكنّي ان احصل انا منها بذاتي او بواسطة غيري افادةً واحدة يجوز للعلماء او للفلاسفة الاعتماد عليها »

وما قولك الآن في هذا المائع الحيوي التي يزعم الوسطاء ان الارواح تتخذهُ وسيلةً لاندماجها مع البشر فكيف يثبت هؤلاء الوسطاء وجودهُ ولم يعرفهُ العلماء حتى يومنا . وان صحَّ وجود مثل هذا المائع اقليس الأصوب ان يقال انَّ الوسطاء ذاتهم يتوسلون به لتلك الفاعيل الخارجة . ومن ثمَّ لا حاجة الى توسّط الارواح

هذا ما يحضرنا من الجواب على مزاعم المتذهبين بالمذهب الروحاني التاسبين اليه تلك المفعولات الغريبة . وسنعود الى هذا الامر ونبيّن بطلانهُ في الفصل الاخير

٣ بقي فريق ثالث متوسط بين الطرفين السابق ذكرهما اعني بين الناسبين كلَّ ظواهر السبيريتسم الى الغش والخداع وبين الذين يعزون تلك الفاعيل كلها الى الارواح . وهذا الطريق الوسطي نوافقها نحن ايضاً في قولها انَّ تلك الفاعيل علاّتها الاولى (مكر الوسطاء) . فلا شكَّ انَّ اموراً كثيرة ينسبونها الى الارواح ليست الاَّ اعمالاً يأتي بها الوسطاء بتفاقة ولباقة ممَّا اعتادهُ بعض الظرفاء ، والمشعوذين تفكهةً للناس واستدراراً لدراهمهم فيعزونها للارواح لتزيد بذلك ارباحهم . وقد اقرَّ بذلك الدكتور پاپوس الساحر (اسمهُ الصحيح الدكتور انكوس Dr Encausse) قال : «ان بين عشرة من الوسطاء ثمانية نصابين محترفون يحترفون بالشعوذة والحزعبلات[1] . وكثيرون من الوسطاء المذكورين اذا حُرجوهم والحّوا عليهم يجيبون قائلين : « لا عجب ان نلتجئ الى بعض الحيل لأنَّ الحضور يجوجونا الى ذلك وهم تاتقون الى غرائب الامور لا يرضون الاَّ بها» فانَّ المشعوذ الشهير المدعو كلاّر (Kellar) قد اتَّصل في اميركة سنة ١٨٩٥ الى تقليد الكتابات التي كان الوسيط الانكليزي اغلنتون (W. Eglinton) يدّعيها للارواح ثمَّ جاهر بانهُ يستطيع ان يصوّر ايَّ كتابة كانت تنسب للارواح الزعومين . وقد اكتشف المراقبون للوسطاء المذكورين حركات خفيّة واصواتاً تصدر من كعوب ارجلهم كان السامعون يظنّونها خارجةً من الطاولة او من الواح الارضيَّة كما تحققوا ان بعضهم كانوا يصوّرون الاشباح بوسائط طبيعيَّة خفيَّة

٢ (الاسباب الطبيعيَّة) لا يمكن تعليل كلّ ظواهر السبيريتسم الى الشعوذة والخداع

[1] اطلب كتاب رامي (ص ٥٠) Remy : Spirites et Illusionistes

وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعية . قال السيد توريناس ( M^gr Turinaz ) اسقف نانسي سنة ١٩١١ في احد مناشيره التي كتبها عن السبيريتسم : « ان بين الحوادث العجيبة التي يرويها تبعة السبيريتسم قسماً كبيراً يمكن نسبته الى القوى الطبيعية ولا نشك ان دارسي الحوادث المذكورة يطلعون على اسبابها الحقيقية » . والحق يقال ان بعض العلماء انقطعوا الى التعمق في اكتشاف عللها فوجدوا ان بعض الامراض كالهسترية والجولان في النوم (Somnanbulisme) والتنويم تشبه اعراضها حالة الوسطاء في السبيريتسم ويلوح لمن درسها ان في الانسان بعض القوى الخفية التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرفه وعاداته السابقة . فهذه القوى تبرز اعمالها في بعض الظروف وبفعل بعض التأثيرات . وهكذا يجوز القول ان ما ينسبه الوسطاء الى الارواح انما هو لائحة من هذه التأثيرات الشخصية فيهم تبرز الى الوجود في حالة تهيجهم وتدفعهم الى امور غريبة وتخيلات كاذبة فتارة يدعون بوجودهم في امكنة سحيقة او في ازمنة مختلفة وحيناً يصفون احوال اشخاص بعيدين عنهم . وطوراً تعمل فيهم تاثيرات اولئك الاشخاص كأنهم امامهم . وقد جمع العلماء كثيراً من هذه الحوادث الطبيعية المسببة عن العلل السابق ذكرها وعارضوها باحوال وسطاء السبيريتسم فوجدوها مجانسة لها . منها ما رُوي عن فتاة تدعى هيلينة سميث ابنة احد العمال في جنيفة حاضرة سويسرة التي تزعم انها عاشت سابقاً مرتين على الارض المرة الاولى قبل ٥٠٠ سنة وانها كانت ابنة شيخ من العرب والمرة الثانية كانت الملكة ماري انتوانيت ثم بسنة التناسخ وُلدت الآن بصفة ابنة احد المأمورين لكنها تتعزى عما فقدته من عزها السابق بمناجاتها للارواح الساكنة في سيارة المريخ والسيارة اورانوس وفي القمر وانها تعلمت هناك لغة غريبة وضروباً من الكتابات السرية . فهذه الفتاة قد فحصها الدكتور فلورنسي فوجدها بعيدة عن كل مكر وخداع وقال عنها انها جبلت في مخيلتها تذكارات قديمة وتأثيرات سابقة من مطالعاتها ومسموعاتها فترويها كأنها حدثت فعلاً معها وليست هي الا سفاسف وخزعبلات صبيانية جسمتها لها اوهامها ومخيلتها

والدكتور غراسه في كتابه المعنون : « السبيريتسم بإزاء العلم » يميز في الافعال النفسانية طبقتين طبقة عليا من الافعال الاختيارية الحرة التي يدركها صاحبها تماماً .

وطبقةٌ سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفوًا دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حسّ لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيّان يجتمعان عادةً في الافعال البشريّة . وانَّما يحدث في بعض الاحيان انهما يتفرّدان باعمالها دون ان تُدرك الطبقة العليا ما يصدر عن السُّفلى من الاعمال . فالدكتور غراسه يستند الى هذا الرأي في تفسيره للاحلام وبعض الرؤى الخياليّة واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحرّكها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيها على ما يُسأل ويطلّ بها بعض اعمال الصابين بالهستيرية

وكان الدكتور جانه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينه في كتابه المثون ( l'Automatisme psychologique ) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطباء . نعم انَّ هذا الشرح لا يُزيل كلّ الشبهات ولا يوضح كلَّ الظواهر وانَّما يكشف السرّ عن عدّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقّق علمي ( الاسباب الخارجة عن الطبيعة ) فيبقى في اعمال الوسطاء وارباب السپيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعيًّا فهذه لا بُدَّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كما يزعم اهل السپيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (له صلة)

---

## التذكار الخمسيني

## لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسيّة النادرة المثال

منذ نحو ٣٣٠٠ سنة فكّر ساتيل احد الفراعنة في حفر قناة على طول البرزخ القائم كحاجز منيع بين آسية وافريقية . فلم يُخرج مقصده الى حيّز العمل . ثم حاول احد خلفائه انشاء قناة بين النيل والبحر الاحمر فلم ينجح . فبقوا هكذا نحو ثلاثة وثلاثين جيلًا لم يجسر فيها الملوك العظام ولا جهابذة المهندسين على مباشرة ذلك العمل الجبّاري الى ان اتته المهندس الفرنسوي فرنان دي ليبس . قدّم رسومه لخديوي مصر سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وبعد سنتين نال منه فرماناً لانجاز مشروعهِ الّا انهُ لم يبدأ الحفر قبل ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ . ثمّ ما لبث ان دُهم بعرقلة لم يكن يترقعها وهي عدم كفاية رأس المال الاصلي البالغ مئتي مليون فرنك . وما عدا ذلك صادف عقّبات سياسية اوقفت عمله مدّة طويلة . اخيرًا بعد المخابرات العديدة المجهدة حصل على تأسيس شركة رأس مالها ١٩ مليون ليرة انكليزيّة مكّنتهُ من ابدال الحفر اليدوي بالماكينات الحديثة . وعلى هذا المنوال أنجز سنة ١٨٦٩ ذلك العمل الجبّاري الذي ادهش الخافقين بسرعة ختامه رغمًا عن الصعوبات والنفقات العظيمة التي ثبّطت العزائم مدة ٣٣ جيلًا . وكان عيد افتتاح قناة سويس من ١٦ الى ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فحضرته الامبراطورة اوجيني حليلة نابوليون الثالث المتوفاة اخيرًا في اسبانية وامبراطور النمسة فرنسوا جوزف وولي عهد المانية وعدّة امراء وممثلين لكل الدول الاوربيّة

لقناة سويس ١٦٠ كيلومترًا طولاً و ٩ امتار عمقاً . امّا عرضها فهو ١٠٠ متر في سطح المياه و ٦٥ في قعرها . وهي تَصِل بورسعيد بسويس أي البحر المتوسّط بالبحر الاحمر . ولكي يقف القرّاء على الصعوبات العظيمة الحائلة دون حفر مثل هذه القناة نورد التفاصيل الآتية . كان معدّل عدد الفعلة في اشدّ حركة العمل خمسة وعشرين الفاً وبنوع معتاد خمسة عشر الفاً . وحيث لم يكن في جوارهم ماء للشرب كان ١،٦٠٠ جمل تجلب لهم المياه من بعيد بنفقات يومية تبلغ سبعة آلاف فرنك !

واذ كان النيل يُفرغ عند مصبّه في البحر المتوسّط كمّيات عظيمة من الرمل المتّجه شيئاً فشيئاً الى القناة للرسوب في قرارها أضحى من الضروري تشييد أسداد طويلة عريضة وشديدة المتانة لاتّقاء ذلك المحذور بلغ طول بعضها كيلومترين : وكان بناؤها بكُتَل مصنوعة بمزيج من الملاط ورمل الشواطئ يزيد ثقلها احياناً على ٣٥٠

طُنًّا ! . امَّا مجموع نفقات حفر قناة سويس فقد بلغ نحو ٥٠٠ مليون فرنك فيكون معدَّل النفقات عن حفر كلّ متر ١٢٥ ، ٣ فرنكاً

فلننتقل الآن الى شرح تفاصيل اجتياز القناة . من المعلوم ان كل باخرة تقصد عبورها يلزمها الوقوف في بورسعيد . فيُعلن قبطانها لإدارة القناة وصوله وجنسيَّة الباخرة ومرفأ خروجها ومرفأ منتهى سياحتها ومحمولها ومقدار غوصها في الماء وعدد الركاب الخ . فبحسب تلك الافادات تعيّن الادارة القيمة اللازم دفعُها للاجتياز من المتوسط الى البحر الاحمر : كلّ طُنّ من البضائع عليه رسم ٧ فرنكات وثلاثة ارباع . وعلى كل شخص ١٠ فرنكات ما عدا الاطفال فهم يدفعون ٥ فرنكات . وعلى ذلك يكون معدّل الرسوم المدفوعة من كل باخرة نحو عشرين الف فرنك . وان استكثر القراء هذا المبلغ العظيم ونسبوا شركة القناة الى الطمع في ارباح فاحشة أَلفتنا انظارهم الى كثرة النفقات العظيمة التي تقوم بها الشركة لحفظ القناة في حالة صالحة للملاحة . واهمُّ تلك المصاريف هي التي تستلزمها البواخر المجهّزة بالات قديرة لجرف الرمل الذي يثيره الريح على توالي الايام ويهبطه الى قعر القناة حيث يتراكم ويُنقص عمقها . وهذا يكاد لا يزيد على ما تقتضيه اضخم السفن . فمجرّد نفقة تلك البواخر الجارفة الرمل تبلغ سنوياً نحو اربعين مليون فرنك !

ومدّة اجتياز القناة تتراوح حسب سرعة البواخر بين ١٥ وعشرين ساعة وذلك لالتزام السفن ابطاء سرعتها المعتادة . ولولا ذلك الاحتياط لأثارت في القناة الضيقة القليلة العمق امواجاً عظيمة تُجحف بالضفتين . وما عدا ذلك تُسام إعاقةً اخرى . لان ضيق القناة لا يسمح باجتياز سفينتين على طول المسافة بين بور سعيد وسويس . وحيث يتفق كثيراً ان بعض البواخر لها وجهة البحر المتوسط وغيرها وجهة البحر الاحمر فيلزم وفقاً لنظامات شركة القناة التوقُّف في محطّات خصوصيَّة ريثما تعبر الباخرة الاتية من الوجهة المعاكسة

امَّا اهمية القناة للتجارة الدولية فتتَّضح لكل ذي عينين . فان القناة قرّبت آسية وافريقية الشرقية ولاسيَّما الشرقية الجنوبية الى اوربة تقريباً لم يخطر على بال فالمسافة بين لندن وبمباي تُقطع في ٢٤ يوماً بدلًا من ٤٨ . وبفضل تلك السرعة توفر البواخر وقتاً ثميناً وكميَّات عظيمة من الفحم يُعوّض عنها بالبضائع

والحق يقال لا فائدة في اجتياز القناة الّا للسفن الحاملة لبِلَع ذات قيمة متوسطة. وذلك لان رسم العبور ٧ فرنكات و٧٥ سنتيماً عن كل طن بغضّ النظر عن ماهية البضائع. ولذلك ترى السفن المشحونة بالاخشاب وجذوع الاشجار والحجارة والفلال لا تفتأ في ايامنا هذه تدور حول افريقية لتنجو من تلك الرسوم التالية. على كل حال يفوق عدد البواخر العابرة سنوياً من القناة كل ما يتصوّره الجمهور. ففي سنة ١٩١١ مثلًا اجتازها ٤٫٩٦٩ باخرة ومنها ٣٫٠٨٩ انكليزية. اعني معدّل ١٤ باخرة يومياً. فكان معدَّل الرسوم المدفوعة يومياً نحو ٢٨٠٫٠٠٠ فرنك

وقد نُصب عند مدخل ميناء بور سعيد الغربي—على حاجزٍ للامواج مستطيل في داخل المياه—تمثالٌ عظيم بديع للمهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس صاحب مشروع قناة سويس ومُخرجه الى حيّز الوجود بعد نحو عشرة اعوام من الاشغال الجبّارية. وللتمثال قاعدة مرتفعة يَرى عليها السائحُ الواصل من اوربّة ذاك النابغة فريد عصره منتصباً تُشير يمناه الى مولج القناة ولسان حاله يقول: «هذه مآثرتي المخلّدة لاسمي ومجدي» وطول التمثال بصرف النظر عن قاعدته نحو سبعة امتار

---

# الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## في انشاء المدرسة المارونية الرسمي (١٥٨٤—١٥٩٢)

بلغ عدد احداث الموارنة المرسلين الى رومية ليتخرَّجوا فيها بالآداب الكهنوتيّة في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذًا كانوا يسكنون في دار بقربها كنيسة على اسم مار يوحنّا المعمدان كانت سابقاً كنيسة رعيّة فخصّصها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق الى امّ المدائن لغايات

مختلفة دينيّة او دنيويّة بينهم عدّة فقراء. وذلك في السنة ١٥٨٢ بموجب براءة (١ تاريخها اواخر شهر كانون الاول سنة ١٥٨٢ افتتحها بهذه الالفاظ (Exigit incum-bentis) وعيّن لمعاشهم مبلغاً كافياً. ثمّ الحقها في السنة التالية في كانون الاول ١٥٨٣ ببراءة ثانية (٢ بدوها (Salvatoris Nostri) اثنى فيها على الطائفة المارونيّة وطاعتها للكرسيّ الرسولي وحسن استقبالها لقصّاده اليسوعيين ثمّ أعلن بجعله الدار السابق ذكرها مع كنيستها ملكاً للأمة المارونيّة مستقلّة عن رعيّة القديس اندراوس (S. André delle Frate) التي كانت قبلاً متولّية عليها بحيث يتصرّف بها الموارنة كما يشاؤون ويقيمون في كنيستها رتبهم وطقوسهم الشرقيّة دون عائق.

ثمّ رأى الحبر الاعظم نموّ التلامذة وما ينجم في اختلاطهم مع ابناء جنسهم من العوائق لتربيتهم الكهنوتيّة ودروسهم فعاد في السنة ١٥٨٤ في ١٢ آذار منها وامر بان تُفرد الدار المذكورة للاحداث الدارسين مع كنيستها وما يلحق بها من الجنينة وبقيّة توابعها فتُدعى بالمدرسة المارونيّة لا يسكنها غيرهم مع الكهنة المتولّين نظارتهم والعناية بهم. وقد ورد ذكر الذين سكنوا تلك المدرسة في اليوم المومأ اليه في المخطوطة الواتيكانيّة اللاتينيّة الموسومة بالعدد ٥٥٢٨ (في الصفحة ٣١–٣٣) وهم التلامذة المذكورون آنفاً ثمّ الكهنة والرهبان الآتون: ١ الخوري مارون اسطفان الكاهن العاليّ من جزيرة قبرس قدم الى رومية في ٢٧ شباط ١٥٨٢ مع أحداث قادهم اليها. ٢ً الخوري يوحنّا أيوب الحصروني الذي استدعاه الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة من لبنان لسعة علمه باللغة السريانيّة ليراقب مطبوعاتها. اتى رومية في ١٤ ك ١ سنة ١٥٨٣. ٣ً القسّ يعقوب سركيس الحرديني من رهبان مار انطونيوس اتى رومية بامر الكردينال عينه لنظارة المأوى قبل تحويله الى مدرسة في ذات التاريخ. ٤ً الاخ ابراهيم سمعان الادنيتي من الرهبان المذكورين اتى مع القس يعقوب. ويشير في آخر الكتابة الى ستّة تلامذة آخرين لم يذكر اسماءهم ولعلهم كانوا منتظَرين (desiderantur) اثنان من دمشق حيث يوجد كرسيّ اسقفيّ. واثنان من بيروت ليقوما بخدمة ابناء جلدتهم الذين يهربون من ظلم الاتراك الى بلاد

١) اطلبها في مجموعة البراءات المارونيّة للنبي Bullarium Maronitarum, pp. 81-83
٢) في المجموعة ذاتها (ص ٨٤–٨٩)

الدروز حيث يعيش معهم الموارنة» . ثم «واحد من بجدرفل ؟ (Becartela) وواحد من جبيل او الجبه (؟ Gibbeir) وهما من اخصّ منازل الموارنة» . وواحد من كورماتيكو (Cormatico) من قبرس . وواحد من غمبيلي (Gambili) من قبرس

فهؤلاء باشروا مذ ذاك عيشةً منتظمة كما تليق بالدارسين ولاسيّما بالمترشحين للعيشة الكهنوتيّة . وقد ايّد الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بسلطانه السامي نظام تلك المدرسة ببراءة خاصّة (١ اصدرها في ٥ تموز سنة ١٥٨٤ تبتدئ بهذه الالفاظ (Humana sic ferunt) يبيّن في مقدّمتها ما حملهُ على تخصيص المال السابق العموميّ بتربية احداث الموارنة وجعلهِ مدرسةً وما يتوقّع منها من الفوائد الجمّة للطائفة المارونيّة كلّها ثمّ يعدّد ما لتلك المدرسة من المداخيل وباي شروط يدخلها التلامذة وما سيكون نظامهم ومميّزاتهم وطقسهم الشرقي . ويجعل المدرسة تحت نظارة الكردينال كارافا محامي الطائفة ويجعل في يدهِ تدبيرها والاهتمام بسائر امورها مؤمّلاً من نجاحها خيرًا كبيرًا لموارنة لبنان

ثمّ اردف البابا هذه البراءة ببراءة رابعة في السنة والشهر عينهما اولها (Romani Pontificis) حتّم على مجمّع التسجيل الروماني (Dataria) ان يدفع كلّ سنةٍ من مداخيله ١٢٠٠ دينار لصروف المدرسة المارونيّة . فكانت هذه النعمة الممنوحة من ذاك الحبر الهمام كشهادة محبّتهِ الاخيرة للطائفة المارونيّة حيث توفّي بعد قليل . فخلفهُ سكستوس الخامس الذى احبّ ان يبرهن عن انعطافهِ نحو الموارنة ومدرستهم فاضاف الى مداخيلها اوقاف كنيسة مريم العذراء والقديس كلوديوس المعروفة بفراسينوريو وكانت فرغت بوفاة الكردينال الكسندر الشعيا فابرز في ذلك براءة (٢ افتتحها بهذه الكلمات ( Inter cœtera collegia ) في تاريخ آب من السنة ١٥٨٥ وألحقها ببراءة ثانية بمعناها في ٧ شباط ١٥٨٦

وقد اشار الدويهي في تاريخهِ الى هذه الهبات البابويّة فقال عن البابا غريغوريوس انهُ «اجرى على تلامذة المدرسة المارونيّة وظائف من نفس طعامهِ» ثم قال (ص ١٨٠) : «ولمّا قام بعدهُ كسوسطس الخامس رتّب لهم دخلاً يكفي ١٥ طالباً مع جميع من

١) اطلبها في مجموع البولات المارونيّة ص ٩١-٩٢

٢) تجدها باللاتينيّة في مجموع البراءات المارونيّة (ص ١٠٠-١٠٣)

يقوم بخدمتهم» . وقال في محلّ آخر عنهُ : «ولمَّا علم ان سالفهُ ادركهُ الموت قبل ان ينهي المدرسة رتَّب لها دخلاً سنويًّا في فراسينوريو وفي السنة الثانية من رئاستهِ عيَّن لها وقفًا في العاموديَّة» (ص٤٢٠)

وقد امتاز بكرمهِ الحاتميّ نحو هذه المدرسة الكردينال انطون كرافا المومأ اليه فانهُ مدَّة حياته لم يزل ساعيًا بترقيها ماديًّا وادبيًّا الى سنة وفاتهِ (١٥٩٤) وهو الذي جدَّد بناء كنيستها التي كانت في جملة تصاويرها صورةٌ لرفائيل المصوّر الذائع الشهرة ووقف على المدرسة قبل موتهِ جميع تركتهِ بمبلغ عشرة آلاف سكودي (١ . وبهذه الارزاق الجارية على المدرسة المارونيَّة اصبحت مماثلةً لافضل المدارس المنشأة في رومية كمدرسة اليونان والمدرسة الانكليزية والمدرسة الايرلندية

لمَّا ادارة هذه المدرسة فجُعلت في ايدي الرهبانيَّة اليسوعيَّة فكان يسكن فيها الرهبان الموكولة اليهم العناية بالتلامذة ولاسيَّما الرئيس ومدير المدارس والاب الروحيّ . وكان اول رئيس أُقيم عليهم الاب يوحنَّا برونو رفيق الاب اليانو في قصادتهِ الثانية الى الموارنة بقي في رئاستهِ الى السنة ١٥٩٠

وكان التلامذة يذهبون كلّ يوم الى المدرسة الرومانيَّة ليتلقَّوا فيها دروسهم من الآباء اليسوعيين كتلامذة مدارس الانكليز واليونان والارلنديين مباشرةً من اصول اللغتين اللاتينية والطليانيَّة ثمَّ العلوم الادبيَّة والرياضيَّة ثمَّ الفلسفة واللاهوت فيدوم زمن دروسهم من عشر سنين الى ١٢ سنة

وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسميَّة درَّاعة سوداء (قباز) وزنَّار مثلها مع رداء طويل وقبعة اكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني فيقوم بتعليمهم اللغتين العربيَّة والسريانيَّة كهنة من ملَّتهم يقطنون معهم . وكانوا يحتفلون [illegible] سنة بعيد القديس يوحنَّا المعمدان احتفالاً عظيمًا وعلى اسمهِ كانت كنيستهم وكا[illegible] مساء النهار يعقدون جلسة ادبيَّة في صاحب العيد بلغات مختلفة يحضرها [illegible]ينال محامي الطائفة وكثير من ارباب الاكليرس وذوات رومية . وفي ٩ [illegible]ن يعيّدون عيد القديس مارون بابهة ورونق فيدعون اليهِ اصدقاء الطائفة [illegible] الطقوس الشرقيَّة . وكذلك رُتب الجمعة المقدسة ولاسيَّما الشماتين كانوا [illegible]ها بكل مجاليها فيتقاطر الرومانيّون الى حضورها

١) اطلب تاريخ الدويهي ص ١٨٠

وقد اهمَّ تلامذة رومية مع الكهنة الموارنة والرهبان الذين في مدرستهم بنشر الكتب الطقسية المارونيَّة بالسريانيَّة . واول ما ظهر من ذلك سنة ١٥٨٥ كتاب الجنـازات طُبع على نفقة البـابا غريغوريوس الثالث عشر في مطبعة دومنيك بازا (D. Basa) بحرف سرياني مع نقوش وتصاوير . وهو من اقدم الكتب التي طبعت بالسريانيَّة

## قوانين المدرسة المارونيَّة

وقد وقفنا على قوانين المدرسة المارونيَّة في سجلّات رهبانيَّتنا اليسوعيَّة وهي باللغة اللاتينيَّة من انشاء مجمع انتشار الايمان وُضعت بعد تأسيس المدرسة في القرن السابع عشر وكان قبلها الكردينال انطون كرافًا قد وضع لها بعض القوانين المختصرة جرى التلامذة عليها اولًا فنقَّحها المجمع المذكور واوضحها في احد عشر فصلًا

فالفصل الاول يتضمَّن خلاصة تاريخ انشاء المدرسة المارونيَّة بهمَّة البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٣ (كذا) وما قصدهُ من انشائها اعني تهذيب بعض احداث الموارنة ذوي الآداب الحسنة والذكاء بالتقى والعلوم حتى اذا تخرَّجوا في رومية بكل الآداب الكهنوتيَّة يعودوا الى وطنهم ويتولَّوا نشر الدين الكاثوليكي بين اهل ملَّتهم ومواطنيهم . وفي هذا الفصل ذُكر الكردينـال كرافًا المحسن الكبير الى الطائفة المارونيَّة ومساعيه الطيّبة في انجاح هذه المدرسة ماديًّا وادبيًّا

الفصل الثاني مدارهُ على الصفات المطلوبة من اولئك الاحداث وكيف ينبغي انتخابهم قبل ان يُرسلوا الى المدرسة المارونيَّة ولذلك لا بـدَّ ان يقضوا مدَّةً في المدارس المنشأة في وطنهم بفضل الكرسيّ الرسولي فيُمتحنوا فيها ويتلقنوا المبادئ الغراماطيقيَّة فاذا وجدوهم اهلًا ارسلوهم الى المدرسة المارونيَّة . ولا يُقبَلوا في رومية ألَّا مصحوبين بكتاب من السيّد البطريرك او برخصة مجمع انتشار الايمـان او الكردينال محامي الطائفة

الفصل الثالث يحتوي شروط دخول التلامذة في المدرسة المارونيَّة بـأن يختلوا مدَّة عشرة ايَّام برياضة روحيَّة يتمرَّنون فيها على الواجبات الدينيَّة وبعد اعترافهم العـام بذنوبهم وقبولهم القربان الاقدس يطَّلعون على قوانين المدرسة لينظروا

أيستطيعون حفظها فاذا حسُنت لديهم تلَوا صورة القَسَم الذي وضعهُ اوربانوس الثامن للشرقيين ووعدوا بتخصيص حياتهم لخدمة النفوس في المعيشة الاكليريكيّة وتأهبوا لقبول الدرجات الصغرى مباشرةً بالاكليل

الفصل الرابع نُخصّ بالرياضات الروحيّة التي يجب على التلامذة ممارستها من صلوات لفظيّة وتأمل يومي صباحاً نصف ساعة وحضور القداس الالهي وتلاوة الكتب الروحيّة ومواظبة على سرّي التوبة والقربان على الاقلّ مرّة في الشهر وفي الاعياد الحافلة · وتلاوة طلبة جميع القديسين يومياً مع ربع ساعة لفحص الضمير مساء · وفيهِ تحريض على درس الطقس الماروني واللغة السريانيّة · وفيهِ ايضاً ذكر الرياضة السنويّة وبعض الرياضات الروحيّة في الاعياد وأيام الآحاد · وكذلك يُذكر تعيين أبٍ روحيّ يعترف التلامذة لهُ بخطاياهم

الفصل الخامس يفصّل واجبات رئيس المدرسة وهو احد الآباء اليسوعيين وما يُفرض عليهِ لتثقيف الدارسين وتهذيبهم الروحي بحيث يوفّر لهم الوسائل ليتأصلوا في ممارسة الفرائض التقويّة السابق ذكرها فيحسنوا القيام بها ويعيّن لهم اباً روحياً يقرّون لهُ بخطاياهم دون سواه ويمدّهم بالكتب التقويّة وسير القديسين وكلّ ما من شأنه ان يزيدهم برارةً وقدساً

الفصل السادس عنوانهُ «ما يجب على التلامذة من الطاعة والاكرام للرؤساء» بيّن فيهِ ان نجاح المدرسة وحسن تدبيرها يتوقّفان خصوصاً على طاعة التلامذة لرؤسائهم وما ينتج من الاضرار بمخالفتها فيحضّ الجميع على اتمام اوامر الرؤساء واكرامهم ويتهدّد العصاة بالعقوبات الصارمة بل بطردهم من المدرسة

الفصل السابع يبحث عن نظام المدرسة اليوميّ بحيث يحفظون بتدقيق الترتيب العام فيعيشون عيشةً متساوية في شغلهم وراحتهم وصلاتهم ونومهم وخروجهم من المدرسة ورجوعهم اليها دون امتيازات [illegible] الّا اذا حكم الرئيس بخلافهِ · ويُحتم عليهم ان يسلّموا ما عندهم [illegible] لوكيل المصروف فينفقونها باذن الرئيس ولا يحفظوا كتاباً خارجاً عن [illegible] المدرسة دون رخصة الرئيس · وفي هذا الفصل عدّة قوانين في تصرّف التلامذة مع بعضهم ومع الغرباء وفي اوقات الدرس وفي ساعات الفراغ وفي الاعوام والقطاعات وفي امراضهم

الفصل الثامن يشتمل على واجبات الرؤساء في عنايتهم بحفظ النظام اليومي لترويض اخلاق التلامذة وتحسين سلوكهم لاسيَّما في الخارج. وهنا كلام عن ملبوسهم وعن زياراتهم لمعابد رومية او لبعض الذوات وترويض اجسادهم بالالعاب المناسبة

الفصل التاسع يبيّن خصوصاً ما يجب على التلامذة من لزوم الحشمة والتقيّة والانس في كلّ اعمالهم ليكونوا قدوةً لكل من يراهم او يخالطهم ويحذروا من كلّ حديث يسيء الى القريب او يغيظ رفقتهم

الفصل العاشر موضوعهُ الدروس وتحريض التلامذة على ملازمتها بكل حرص واجتهاد مع حفظ نظامها سواء حضروا تعليم الاساتذة في المدارس او تباحثوا في أماثيلهم في ما بينهم او راجعوها وحدهم في غُرَفهم . مع ايضاح الطُرُق المناسبة للاستفادة منها . وفيهِ كلام على الاعتناء بالكتب المدرسيّة والكتب المستعارة من المكتبة العموميّة

الفصل الحادي عشر يخصّ الرؤساء، وفيه تعريف ما يقتضي عليهم في تخريج التلامذة بالعلوم وتثقيف عقولهم ليصبحوا يوماً انواراً لاهل بلادهم . فيتّبع الجمع المقدَّس سياق دروسهم مباشرةً بالعلوم اللغويّة والبيانيّة ثمّ الفلسفة باقسامها وفروعها ثمّ اللاهوت النظري والادبيّ وسائر العلوم الكتابيّة والشرعيّة الكنسيّة الى نهاية دروسهم وتقدمة الفحوص عنها والشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة فيها . ولم يَنسَ الجمع درس اللغتين الوطنيّة والطقسيّة تحت نظارة الكهنة او الرهبان الذين يهد اليهم ذلك . وهذا ما أهَّل تلاميذ رومية لخدمة العلوم الشرقيّة في اوربَّة كما سترى

وهذه القوانين المذكورة تجد خلاصتها في براءة البابا اوربانوس الثامن التي اصدرها في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥ لاثبات مدرسة تأسّست وتتنذ في جبل لبنان لتثقيف احداث وشبان الطائفة المارونيّة لاسيَّما الذين يرشَّحون للمدرسة المارونيّة في رومية ليتمرّسوا فيها بسياق دروس الفلسفة واللاهوت . وهذه البراءة قد نُشرت معرَّبة في طبعة المجمع اللبناني الجديدة التي تولّى نشرها الطيّب الذكر المطران يوسف نجم في الفصل الثاني والاربعين من الذيل (ص ٢١٢٨-١٣) . وقد استفاد ايضاً آباء المجمع اللبناني من قوانين المدرسة المارونيّة في الباب السادس من القسم الرابع المعنون بالمدارس والدروس

وان عدنا الى ذكر تاريخ المدرسة المارونيّة في سنيها الثاني الاولى (١٥٨٤–١٥٩٢) وجدناها ساعية في سبل النجاح تحت رعاية الاب يوحنـا برونو الذي قام لديهم مقام احنّ الآباء بعد ان زار بلادهم فاختبر محامد اهـل ملّتهم

ولم يكونوا لينذهلوا عن اكبر المحسنين اليهم واعزّ اصدقاء طائفتهم واكبر السُّعاة في فتح مدرستهم الاب جوان باطشتا اليانو. وممّا وقفنا عليه من رسائلهم التي حرّروها للاب المذكور رسالة لجبرائيل الباني اوّل تلاميذ الدرسة المارونيّة كتبها كما يظهر بعد رجوع الاب اليـانو من مصر الى البندقيّة سنة ١٥٨٥ ومنهـا يظهر حبّ هؤلاء التلامذة للاب اليانو وعرفانهم جميلهُ :

بسم الآب والابن والروح القدس

أُقبِّل الارض واحني بالهامة الخاطئة بين الايادي الطاهرات النقيات الزكيـات اي ايادي المحبّ الحنون وتاج رأسي وقرّة عيني ومهجة فؤادي المحبّ المحبوب ابي القس باتيستا سلّمه الله تعالى

سبب تسطيرها الاشواق الى نظرك البهيّ الله يرونيا اياه بخير وعافية . ثم الذي نعرّف به الاب الحنون بأيّ وقت سمعت انك جيت مثلما يكون ابي قام من بين الاموات . فرحت جدًّا وشكرتُ الله على وصولك الطيّب الينا وعلى سلامتك وبجّدت الله القدوس الذي ردّك الينا لانك وقت كنت غائب كنّا مثل اليتامى بلا اب ولاسيا انـك عملت عمل خير عظيم وجئتنا من بلادنا في كلّ جودة . وكنّا مشتاقين جدًّا لاننا كنّا دائمًا نصلي حتى الله يرونيا وجهك قبل الموت . ونُعلم الاب الحنون بان البابا غريغوريوس عمل لنا مدرسة وطلبنا جماعتكم حتّى يدبّرونا والحمد لله الجنرال انعم علينا واعطانا اياهم ليدبّرونا وكنّا ستنظرينك زمن طويل لكي تجي وتدبّرنا وان شاء الله وقت تجي نطلبك من الجنرال . واطلب من احسانك ان كان يجي الخوري حنّا وانت في البندقيّة انك تبيّنهُ وتكون لنا معين في كل ضيقتنا وغربتنا . وما نتاز ومية لانك دائم حريص علينا وانت جبتنا وانت ربّيتنا وادام الله بقاك

احقر الناس عبدك وابنك

جبرائيل الباني ابن القس يوسف

وقد وقفنا لتلاميذ رومية على [illegible] آخر كتبهُ جبرائيل المذكور للاب اليانو باسمهِ وباسم ثمانية من رفقتهِ [illegible] :

اقبّل الارض واغني بين [illegible] بخدمة العليّ الشريف ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي وعد بانجيلهِ المقدّس ملكوت السماوات لـلمجتهدين بسلو . . . امين . وسبب تسطيري

هذه الكتابة انا الحقير جبرئيل شوقي لنظرك انت الذي بوساطتك اتيت الى هذا الموضع المقدَّس ثمّ انَّنا نعلم الآن ابوّتك نحن يعقوب ومرقس ونعمة وكبار ويوحنا وانا الحقير مسطِّر هذه الاسطر انا معتازين هؤلاء الكتب الذين اساميهم مكتوبين بورقة الاب يوحنا (بروتو) . فمن كلّ بدّ وسبب يا ابونا نريد انك ترسلهم ولا تتهاون بالحبّ الروحاني الذي انت به مقيَّد نحونا . ونعلمك ايضاً انَّا نحن كلنا طيّبين بنظر الله ونظر سيّدنا البابا ونظر سيّدنا الكردينال انطونيوس (كرافا) وما يخصّنا غير نظرك ورؤياك البهي وهؤلاء الكتب والرب يجمع الشمل بيننا وبينك امين

انا الحقير مرقس القبرسيّ انا الحقير جبرائيل المدناني انا الحقير موسى العاقوري انا الحقير برجس المدناني انا الحقير سركيس ابن اخو البطرك سركيس اقبّل اياديك كثير انا الحقير مخائيل ابن اخو المطران انا الحقير يوحنا الحلبي وبعد السلام كثير كثير امين امين . (وفي اخرها عبارةٌ بالسريانيّة هذا تعريبها)

انَّ التلميذ الذي وُضع من الاب يوحنا باطيشنا اليوم يتعلَّم اللاهوت وهو يسلك بمخافة الله ويطلب من ابيهِ الروحاني الاب باطيشطا ان يرسل لنا اعمال الشهداء والكتب التي نتنوّر بها

ولدينا مكتوب آخر كتبهُ تلميذه الخوري يوحنّا أيوب الحصروني المار ذكرهُ بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيّة :

## بسم الربّ حافظ خائفيه وموصلهم الى درج الكمال

كما يتوق الايل الى ينبوع المياه كذلك تاقت نفسي الى حضرة الاب القديس الجوهر النفيس الذي ليس في قداستهِ شكّ علم الاعلام ومصباح الظلام . . . فخر العلماء وزين الكهنة ابي ومعلّمي وتاج رأسي القس باتشتا ادام الرب كهنوتهُ ويرحمني ببركة صلواته . وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى نظر ايقونتكم البهيّة يجمعنا بها الرب قبل الموت . ثمّ نعلم ابوّتك بان وصل الينا خبر المحنة التي اتت عليك فغمّنا كثيراً لكن نشكر الله على خلاصك بخير يا ابي قال داود النبي : كثيرة هي احزان الصديق ومن جميعها يخلصهُ الرب . واعرض على معرفتك الكريمة اني انا الحقير تلميذك دخلتُ الى المدينة المعظَّمة امّ المدن رومية وصار لي تكريم عظيم من السيد الكردينال انطونيوس كرافا ادام الله بقاه زمناً طويلاً . وكذلك الاب الاقدس سيدنا البابا انعم علينا بكل شيء طلبناهُ منهُ اخذ لنا كنيسة ولها بستان وعمّر لنا لزقها مدرسة عظيمة مثل مدرسة الملكيّة (اي اليونان) وأحسن . واولاد الموارنة انتقلوا جميعاً اليها وعمل لنا اسطمبا (اي مطبعة Stampa) بالحرف السرياني الكبير الربّ يجازيهِ في ملكوتهِ السماويّ . وانا ومعلمي القس يوحنا بروتا نقلنا الكتب من السرياني الى الافرنجي وهو مجتهد وساعي بكل اشغالنا وتعب كثيراً من اجلنا الرب يجازيهِ . . . ونعلم قدسك ان كان يهوّن الله في شهر نيسان

اتوجّه الى البلاد ونرجوك ان تجمل طريقك علينا حتّى تشفك وتفرح فيك قبل الموت وحضر تسطيرها تلاميذك اهل جبل لبنان يقبلون يديك

تلميذك الحقير في الكهنة يوحنّا الحصروني

من جبل لبنان

وقد أطلعنا على رسالة حوُرهـا البطريرك سركيس الرزّي الى الاب اليانو في تاريخ ٢٥ آذار ١٥٨٥ يهنّيه فيها بالنجاة من محنته ويوصيه بالتلاميذ الموارنة :

[illegible]

السلام والبركة التي حلّت على جوق الرسل تكون حالّة على اعزّ الاصدقاء والمحبّين القس باطيشتا . الربّ يبارك عليك في كل ايّام حياتك ويغلّمك في الدنيا والآخرة ويكون حظّك في ملكوته السماويّة بصلوات العذراء الطاهرة والآباء القديسين امين

وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى رؤياك السيد الله يرونا وجهك بخير وعافية آمين . ثمّ نعلم لمحبّتك الصادقة ولأماتك الوائقة بأن وصلت شرّفتك الينا وفهمنا مضمونها وصار عندنا غمّ من تحت راس الخسارة والضيق الذي صار عليك لكن نرجو المعونة من الله سبحانهُ وفي نظر السيد البابا يتسها في كل خير جزيل ويعني تعلم الكتبة الرومانيّة في ذلك البلد المحروس ويكون عندنا فرح بدل الغم الذي اغتشينا . وانك ارسلت تقول على احوال البلد وانّ الحكّام يتكدّروا وجاء الى عندنا باشا صعب قوي وصار عندنا فزع وعراتا اسباب الدير
عاد صار لنا رستاق على يد القنصل والخواجكيّة الافرنج الله يخلص لك ولهم
دخلوا عند البابا وطالعوا لنا مرسوم توصية في الدير وان لا احد ينكّد علينا قد سينا بذلك . واما الحقير والمطارنة والاساقفة والرهبان بندعي لك في الخلاص وهم يخصّوك بالسلام ويشيفوا شوقهم اليك كثيرًا اعلمناك ذلك وبعد تجديد البركة والسلام عليك

ثمّ نخبر محبّتك بان اذا بقي يجيك اخبار من جوا ابقَ ارسل عرّفنا ذلك وأرسل وصّ في الشابّين الحوري يوحنّا وفي ابن اخي الشماس سركيس والراهب وبقيّة الاولاد واهل المدرسة ولا تقطع جميع اخبارك عنّا

برزت من دير سيّدة قنوبين

نهار عيد البشارة ١٥٨٥

(لهُ بقيّة)

# النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً. وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائل جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم. فكان الحميريون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم. وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقته يفتخر بكثرة سفن قبيلته تغلب النصرانيّة :

مـلأنا البرّ حتّى ضاق عنّا　　وظهرَ البحرِ نملأهُ سفينا

وقد احسن طرفة في وصفهِ لسُفن قومهِ في البحرين فذكر بعض سفنهم العظيمة وهي الخلايا والعَدَوليّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومَخْر سفينتهِ غمر المياه فقال :

كأنّ حدوجَ المالكيّة غُدوَةً　　خلايا سَفينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوليّةٌ او من سَفينِ ابن يامنٍ　　يجورُ بها الملّاحُ طوراً ويهتدي
يَشُقُّ حَبابَ الماء حيزومُها بها　　كما قسمَ التُّربَ المفائلُ باليَدِ

وذكر الأعشى النوتيَّ الساتر بسفنهِ على الفرات عند طغيانهِ

مثل الفراتيّ اذا ما طما　　يقذِفُ بالبوصيّ والماهرِ

واشار امرؤ القيس الى طَلْي السُفن بالقير :

فشبّهتُهم في الآلِ حين زَهاهمُ　　عصائبَ دَوم او سفيناً مقيّرا

وقال الشمّاخ يذكر سُفن البحرين وقُواريها الكبيرة :

رماحُ رُدَيْنةٍ ويمارِجٌ قواربُها تُقاذفُ بالسَّفينِ

وكانوا يُدعون النوتيّ ملّاحاً وصراريّاً جمعهُ صراريّ ايضاً وصُراء. قال ربيعة ابن مقروم:

واعرضَ واسطُ فعدلْنَ عنهُ كما عَدَلَ الصراريُّ السفينا

وقال الممزّق العبديّ:

الا ابنَ المُعلَّى خِلتَنا وحَسِبتَنا صراريَّ نُعطي الماكسينا مُكُوسا

على انَّ فنَّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضر في سواحل الجزيرة كان في الغالب مجهولًا لدى عرب الحجاز ونجد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأوا في سواحل الشام ومصر سفن الروم. ارادوا ان يعبروا البحر ليغزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنَّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدسر والصواري والمجاذيف ... هندسة اجزائها فعمّروا لهم السُّفن وجهّزوها لحروبهم في ايام معاوية ود... بني اميّة

وفي اللغة ما يدلُّ على اصول فن الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعددة امّا رومية وامّا آراميّة او حبشيّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من ... سلام وقد تقلّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة ... مها المتباينة . فممّا استعاروه من اليونانيّة: اسطول (στόλος) أنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيّة او الآراميّة : سفينة قارب قرقور دقل ربّان ملّاح سُكّان قلع مجذاف صارٍ . ومن الحبشيّة: بحر شراع مرسى

(النقود) انَّ التجارة والمقايضا... ع والشراء لا تجري عادةً الّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلًا من المبيع ... ركان للدول النبطيّة ولملوك ميشان وخراسان في العراق ولملوك الجزيرة ... الرها وحضر ولملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيّة وفضيّة ونحاسيّة ... امثال حسنة في متاحف اوربة وعند بعض الخاصّة

فوصفوها ورسموا صورها وفنّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتابهِ النقود القديمة الاسلاميّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليّة التي تدور بينها الذهب والفضّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريّة من قبل الروم ودراهم فضّة على نوعين سوداء وافية وطبريّة عتقاً وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليّة مثل وزنها في الاسلام مرّتين ويسمّى المثقال من الفضّة درهماً ومن الذهب ديناراً ولم يكن شيء من ذلك يتعامل بهِ اهل مكّة في الجاهليّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم »

فانّ علماء النقود العربيّة كالمسيو فكتور لنغلوا (V. Langlois) في كتابهِ عن نقود العرب قبل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والمسيو هنري لافوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميّة المصونة في مكتبة باريس العموميّة والمسيو دي تيسنهوزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجاهليّة للنقود النحاسيّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيّة فراجت بينهم ايّ رواج على اختلافها ذهبيّة كانت ام فضيّة او نحاسيّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ما كانوا يتعاملون بهِ من النقود القيصريّة الروميّة مع رسومها الدينيّة. وقد اشتهرت بينهم نقود هرقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢: ٣٣٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليّة » وقال البلاذري في فتح البلدان (ص ٤٦٦) : « وكانت دنانير هرقل تَرد على اهل مكّة في الجاهليّة » وروى في الاغاني (١١: ٥٢) لكُثيّر عزّة قولهُ :

بروقُ عيونَ الناظراتِ كأنّهُ هرقليُّ وزنٍ احمرُ التِبرِ راجحُ

وروى الانباري في شرح معلّقة عنترة (éd. Rescher. 61) :

دنانيرُ مما شيفَ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجليّة المُعلمة الموسومة بالكتابة. وقد ذكر أُحيحة بن الجلاح دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنّا بن رؤبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تهلّل  جزوعٌ صبورٌ كلَّ ذلك تفعلُ
فما هِبرِزيٌّ من دنانير أيلةٍ  بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ اصبح غاديًا  ونفّسني فيهِ الحِمامُ المعجّلُ

(قال) يتأكّل اي يأكل بعضهُ بعضاً لحسنهِ · والوشاة الضرّابون · وقد وصفوا كذلك الدراهم الروميّة . قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها :

جادت عليهِ كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ  فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعفَر (شعراء النصرانيّة ص ٤٨٢) :

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ منطَّقٍ  وافى بها كدراهم الأسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى · وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيّة نُتَفًا وفلوساً قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner) :

وفارقَتْ وهي لم تَجرَبْ وباع لها  من الفصافص بالنُّمّي سِفسيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨) :

والتغلبيّةُ مهرها فَلْسانِ

ومن الادلّة التي تشهد على رواج النقود الروميّة بين عرب الجاهليّة انّ معظم الالفاظ الدالّة عليها يونانيّة او لاتينيّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δραχμή) وقيراط (κεράτιον) ونُمّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقنطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بسكّة الروم التي كانوا يربحونها بتجارتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمة واقتسمها جنودهم · ولجهلهم لغة البلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمّالًا من نصارى الوطنيين ولّوهم على دواوينهم الماليّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة · وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدّ القديس يوحنّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايّام الخلفاء الراشدين ولاسيّما عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وفي اوائل الدولة الامويّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيّة السابقة · ففي متاحف اوربّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريّة في ايّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر

أشعرة النصرانيّة كاوّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبه المقدّس وصورة النّسر. وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير: بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيّة او بالعربيّة هكذا: «ضرب. دمشق (حمص. طبريّة. بعلبك. ايليا. انطاكية). جايز». ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس. وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخط) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

وقد وجدوا على عدّة نقود من ذلك العهد كلمة «باسم الله» وقال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٨٨١) انّ الحجّاج بن يوسف اوّل من ضرب درهماً عليه شعار الاسلام «لا اله الّا الله ومحمّد رسول الله». وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار «لا اله الّا الله وحدهُ لا شريك له» وعلى الوجه الآخر «محمّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢»

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انّ اوّل من كتب على النقود الاسلاميّة بالعربيّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان. قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص١٣): «اوّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيّة عبد الملك بن مروان فانهُ عُني بذلك وكتب الى الحجّاج في اقامة رسمهِ»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلاميّة (ص٥ طبعة الجوائب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلّدًا سيفاً. ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريّون لكنّهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسهِ مفروق على جبهتهِ وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفلس اسم ايليا وفلسطين مع صليب على هذه الهيئة ⊕. فلمّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوّلًا على مثال اسلافهِ وابقى الصليب مع صورتهِ واسمهِ في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكهِ ويوجد من هذه

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلاميّة الاولى للبارون دي سلان في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (J. A., 1871², 199-211).

٢) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. XVII, 39)

النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقنسرين ومنبج وسرمين وغيرها

ففي السنة العاشرة من خلافته عدل عن النقود السابقة واتّخذ نقوداً جديدة خالية من الرسوم النصرانيّة ولذلك عدّهُ كتبة العرب كأوّل خليفة نقش الدنانير قال الطبري في تاريخهِ (٢: ٩٣٩-٩٤٠) : اوّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ. والصواب انهُ ضرب اوّلاً النقود القديمة ونقش فيها صوراً انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميّة (ص٦) . وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقوداً اسلاميّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيّة . لكنّهُ بقي شيء منها لعلّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيّة . وفيهِ ايضاً نقود نحاسيّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امّا سبب اتّخاذه السكّة الاسلاميّة فنفورهُ ممّا كانت الروم ترسمهُ على سكّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح . وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأشعرة النصرانيّة . وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠) :

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبل الرو[illegible] الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوّل من أحدث الكتاب الذي يُكتَب في ر[illegible] الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله . فكتب اليهِ ملك الروم : انك[illegible] احدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهُ فان تركتموهُ والّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم [illegible] تكرهونهُ . (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنّةً حسنةً سنّها [illegible] الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ : «يا ابا هشام احدى بنات طبَقٍ» واخبره [illegible] : أفرخ روعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس [illegible] ولا تُعفِ هؤلاء الكفرة عمّا كرهوا في الطوامير» . فقال عبد الملك : «فرّجت [illegible] فرّج الله عنك» وضرب الدنانير . قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح [illegible] رؤوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيّة تعالى علوّاً كبيراً وتجعل الصليب مكان [illegible] الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدّ عليهِ تغيير عبد الملك [illegible]

وقد اتى هذا الخبر مفصّلًا [illegible] المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) نقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يومٍ وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شق

عنهُ البدرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في خدَم الخاصَّة وبيدهِ درهم نتلوَّح كتابتُهُ وهو يتأمَّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال : هل علمتَ مَن اوَّل مَن سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضَّة ؟ قلت : يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قلتُ : لا علمَ لي غير انهُ اوَّل من أحدث هذه الكتابة. فقال : سأخبرك. كانت القراطيس للروم وكان أكثرُ مَن بمصر نصرانيًّا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميَّة وطرازها آبا وابنا وروحا قديشا» (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الإسلام كلّهُ يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبَّه عليهِ وكان فطِنًا فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يُترجم بالعربيَّة ففُعل ذلك فانكرهُ . . . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بإبطال ذلك الطراز . . . . وان يأخذ صنَّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد . . .

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمَّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلَّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأُبطلت منذ ذاك السكك والطراز الروميَّة (لهُ بقيَّة)

---

# مطبوعات شرقية جديدة

THE ORIGINS OF THE ISLAMIC STATE. Being a translation from the arabic accompanied with annotations, geographlic and historic notes of the KITAB FUTUH AL-BULDAN OF AL-BALADHURI by Ph. Khûri Hitti. *Ph. D., vol. I, New-York, Columbia University*, 1916. *pp.* 515

ترجمة الدكتور فيليب خوري حتي لكتاب فتوح البلدان للبلاذري

قال المسعودي في مروج الذهب يصف كتاب البلاذري المعنون بفتوح البلدان (١ : ١٤) : «لا نعلم في فتوح البلدان احسن منهُ» . تستحقّ الدكتور دي خوي (de Goeje) شكر العموم بنشره في ليدن . بيد انَّ منافعهُ كانت محصورة في المستشرقين فاحبَّ وطنيُّنا الهمام الدكتور فيليب خوري حتّي نقلهُ الى الانكليزيَّة

تعميماً لفائدته فباشر بذلك سنة ١٩١٦ وفي السنة التالية تولّى الدكتور ريشر (O. Rescher) ترجمتهُ الى الالمانية وقد أدّى كلاهما خدمةً مشكورة للآداب كان احجم عنها قبلهما العلماء لحصر معاني الكتاب في وجيز اللفظ اذ لم يبقَ من الاصل الّا خلاصتهُ . على انَّ جناب استاذ الجامعة الاميركانيّة لم يكتفِ بنقلهِ الى اللغة الانكليزيّة بل اضاف اليهِ من الافادات ما لم نجدهُ في الترجمة الالمانية ومن ذلك مقدّمتهُ في تعريف البلاذري والاصول التي اخذ عنها ومن استند اليهِ من الكتبة بعدهُ . وقد اشار جنابهُ (ص ٧٠٦) الى كتاب آخر للبلاذري « انساب الاشراف » وليس هو سوى نسخة غير محكمة من نسخة الاستانة التي عوَّل البعض على نشرها قبل الحرب . ومما زاد فوائد الترجمة الانكليزيّة ما ذيّلها بهِ من الملحوظات الدالّة على سعة معارفه بالآداب الشرقية ومنشوراتها الحديثة في اللغات المختلفة . وقد وجدنا الترجمة عموماً متقنة مضبوطة . وانّما كان الافضل (في الصفحة ١٨٠) ترجمة « صناعة » بلفظة (arsenal) من (industrie) كما تبيّنَ لهُ ذلك في الصفحة التالية . وكذلك هي (ص ٢٦٣) Dhû Kala' وليست Kila' . ومما نُقل عن الاصل بغلطهِ (ص٣٦٧) اسم كلثوم بن عياض « القسري » وليس القشيري كما ورد هناك (اطلب الطبري والاغاني) . وكذلك اسم ارواد (ص٣٩٦) وليس الكلام هناك عن جزيرة ... والصواب ارداد اسم بلدة قريبة من الاستانة تدعى اليوم ارداك . وفي الختام نتمنى ان ينجز المترجم عملهُ هذا الجليل قريباً فيربح شكرنا المتضاعف ... ب ه . لامنس

**The Day of the Crescent, Glimpses of Old Turkey, by G. E. Hubbard, *Cambridge, University Press, in-12, 1920, VI-242 pp.***

تركيا في عهد رونق هلالها

المستر هوبرد كان سابقاً قنصل بريطانية العظمى في الموصل فاراد في أيام الفراغ ان يعود بالنظر الى تركيّة في ايام ... في القرنين السادس والسابع عشر قبل انحطاطها الذي ظهرت لوائحهُ في ... ذلك العهد . فراجع لهذه الغاية ما كتبهُ قدماء السيّاح واستعار بعض التصاوير ... نشروها في رحلهم . ومما اوردهُ في كتابهِ تركيب الكتائب الينكشريّة ... كبار الدول والسفراء على السلاطين ووصف الاساطيل التركيّة مع من يتولّى تدبيرها من عمّال النصارى كالنوتيّة ورؤساء المراكب لجهل

الاتراك بفن الملاحة ، ومن الفصول المؤثرة ما خصه باسرى الحرب والعبيد النصارى الذين كانوا يُلقون في لومانات الاستانة واعماق جبوسها ويقضون السنين في الاعمال الشاقة . فهذا الكتاب مما يلذّ القرّاء باوصافه وحسن طبعه وتصاويره ه ٠ ل

**Fallex et Mairey.** GÉOGRAPHIE D'APRÈS-GUERRE. L'Europe Nouvelle. *In-16, 348 pp. Cartes et figures, Paris, Delagrave,* 1920

جغرافية اوربّة بعد الحرب

قد اسرع محلّ «ديلاغراف» الى خدمة العموم بوضعه كتاباً جغرافيّاً يوافق احوال اوربّة بعد ما حدث فيها من الانقلاب في اثر الحرب الاخيرة . فجاء التأليف في وقته يجمع في قطعه وهيئته وانشائه كلّ صفات الكتب المدرسيّة فلا شكّ انّ احداث المدارس يقبلون عليه لاحواز فوائده الجمّة الاب ج . لوفنك

**Axelrod** (Alexandre) : L'œuvre économique des Soviets. *Paris. J. Povolozky et Cie in-16, 147 pp. Prix 6 frs*

عمل السوفيات الاقتصادي

قد تعدّدت التآليف الباحثة عن السوفيات وانّما هذا الكتاب يستحقّ نظراً خاصاً لانّ كاتبه احد الاشتراكيين السيّد اكسلرود الذي عاش مدّةً في روسيّة بين البولشفيين وامعن النظر في معاملاتهم الاقتصاديّة فألّف هذا الكتاب باعتدال وهو مع اقراره بالفوضى الواقعة في روسيّة يستشفّ من وراء هذه الحركة نهضةً جديدة يؤمّل منها تحسّناً في احوال تلك البلاد الواسعة ويبني رجاءهُ على ثبات البولشفيين في الحكم وارتدادهم عن مساويهم . حقّق الله تلك الآمال ج ٠ ل

**Vichniac** (Marc) : La protection des droits des Minorités dans les traités internationaux de 1919-20. *Paris, J. Povolozky et Cie ,s.d., in-16, pp. 70*

الدفاع عن حقوق الاقليّات في المعاهدات الدوليّة

بين الابحاث التي دارت في جمعيّة الامم بعد الحرب الاهتمام بحقوق الاقليّات في الدول . وهذا الكتيّب قد خصّ فيه صاحبهُ النظر بتلك المسألة فلقي تأليفهُ استقبالاً حسناً في جمعيّة الامم التي قدّمتهُ الشركة الروسيّة فصدّقت عليه تماماً . وكفى بذلك دليلاً على اهميّته . والحقّ يقال انّ كاتبهُ لم يدع وجهاً من هذا الامر الاّ نظر فيه .

وذلك في ستّة فصول جامعة مانعة تاريخيًا وشرعيًا فبعد ان فحص مساعي الدول سابقاً لحماية الاقليّات وعقدها المعاهدات في ذلك مدّة القرن التاسع عشر وجدها تتناول غالباً حماية الافراد اكثر منها حماية لحقوق الناس وعناصرهم القليلة والامم الصغرى الناشئة بين العناصر الكبرى التي تضبط في كل دولة زمام الاحكام ومن ثمَّ لا تزال هذه الاقليّات مضحّاة بغلبة العناصر المالكة · وعليهِ قد بيَّن الوسائل الكافلة بحفظ هذه الاقليّات ونموّها والذبّ عن حوزتها لئلا ينتهك القويّ حرمة الضعيف ويستبيح ذماره · فنشكر المسيو فيشنياك على كشفهِ القناع عن وجه هذه المسألة الدوليّة المتعبة ج·ل

**Karl Kautsky:** Terrorisme et Communisme. Contribution à l'histoire des révolutions. traduit de l'allemand par Mme N..Stchoupak. *Paris, J. Povolozky et Cie. s. d., pp.* 244. *Prix* 8 *frs*

دولة الاهوال الاشتراكيّة

كوتسكي احد الاشتراكيّين العاملين في المانية لكنّهُ يأبى على قولهِ المبادى البولشفية وقد وضع هذا الكتاب ليتنصَّل من تبعتها · وبياناً لغرضهِ يسرد في كتابهِ تاريخ الثورة الفرنسويّة وفتن الكومون سنة ١٨٧١ ويسعى بتبييض وجه الاشتراكيين ويحاول الدفاع عن آرائهم · ثم ينتقل في القسم الاخير من كتابهِ الى تسطير اعمال البولشفيين في روسيّة التي اصاب في وصفها لعلمهِ بتفاصيلها وفظائعها وهو لا يرى انَّ اصحاب هذه الثورة ما فازوا الّا بإخراجهم الى حيز الوجود مذهب الاشتراكيين · على أنهم اذ ظفروا بمرامهم وصارت السلطة في يدهم اهملوا المبادئ الاشتراكيّة وتركوا الشعب على حالتهِ من البؤس ليتمتَّعوا هم بمنافع الولاية دون غيرهم ج·ل

VERBUM DOMINI: Commentarii de re Biblica omnibus Sacerdotibus accommodata a Pontificio Instituto Biblico singulis mensibus editi. *Romæ, Vol. I. fasc.* 1 *Janu.*, 1921, *in-8, p.* 32

كلمة الرب

هذه مجلّة ثالثة يتولّى نشرها المكتب الكتابي البابوي في رومية تبحث الاولى في مباحث كتابيّة (Biblica) والثانية في الشرقيّات ( Orientalia ) وهذه الثالثة ( Verbum Domini ) التي ظهرت في غرّة السنة الحاضرة غايتها خدمة الكهنة فانَّها عوّلت على نشر المواد الخاصّة بالتعليم والارشاد والادبيّات المسيحيّة فيستقي من

، واردها ارباب الكهنوت لتدبير رعاياهم . وهي منشأة باللغة اللاتينية تعميماً لانتشارها بين اكليروس جميع الدول . وهذه قائمة الكراس الاوّل : ١ً آثار الكتاب القدّس العديدة . ٢ً الكتاب الكهنوتي . ٣ً تجربة السيّد المسيح في البرّية . ٤ً الكمال الادبيّ بنظر القديس بولس . ٥ً المزمور ارحمني يا الله . ٦ً الراعي والرعيّة في ارض فلسطين . ٧ً قول الربّ لابراهيم : اني سأكون ثوابك العظيم . ثمّ شذرات غيرها ج . ل

**H. Lammens** s. j: Le Califat de Yazid I^er^. Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. *Imprimerie Catholique. Beyrouth (Syrie). in-8. pp.* 531, 1921

خلافة يزيد بن معاوية

انّ بعض كبار الرجال قد عاشوا في ازمنةٍ مضطربة كانت سبباً لتناقض الآراء في نقد اعمالهم وفضلهم . ولا غرو انّ يزيد بن معاوية احد هؤلاء الرجال فانّ ذكرهُ لا يزال ممقوتاً بين المسلمين ولاسيَّما بين اهل الشيعة الذين يرجمون قبرهُ المزعوم في دمشق (والصحيح انّهُ قُبر في حوارين في البادية شمالي دمشق) . وتنفورهم هذا لثلاثة وقائع مهمّة حدثت في ايّامهِ ونُسبت اليهِ اعني : قتل الحسين في معركة كربلاء ثم فتح المدينة وحصار مكّة مع حريق الكعبة . فحملت هذه الوقائع كتبة العرب على التشنيع بذكر يزيد ووصفهِ بالبطر والخلاعة والتعطّش الى اهراق الدماء . على انّ من يعتبر اخلاق هذا الامير خلواً من الغرض ويتصفّح ما كتبهُ عنهُ اقدم الكتبة يرَ ما في الحكم من التطرُّف وقلّة الإنصاف . وهذا كتابٌ واسع لحضرة الاب لامنس خصَّهُ بذلك الخليفة الاموي الثاني وألحقهُ بكتاب اوَّل درس فيهِ تاريخ معاوية وكشف عن عظم فضلهِ وفريد مقامهِ بين الخلفاء . وها هو ذا قد دعا ابنهُ يزيد الى محكمة التاريخ مصحوباً بكل الشواهد التي لهُ وعليهِ ففحصها فرداً فرداً بعين العدل وسبرها بمعيار الانتقاد فأثبت انّ يزيد لشبهُ اباهُ بفضلهِ في امور كثيرة وفاقهُ في امور أخرى . جرى على سياسة معوية في ترقية بلاد الشام وعُرف بكرمهِ وتساهلهِ مع نصارى دولتهِ وحبّهِ للآداب وجودة قريحتهِ في الشعر وحبّهِ للشعراء منهم الاخطل النصرانيّ . امّا الامور الثلثة المفجعة التي حصلت في عهدهِ فانّ حضرة الاب ينسبها الى الظروف والحزازات بين الاحزاب التي كانت بلغت الى حدّها وغاية حرَجها . وقد اراد يزيد ان يخمد تلك

النيران لولا انَّ الموت حال دون رغبتهِ. ومن آثارهِ الباقية في دمشق القناة المعروفة بنهر يزيد. ومن اراد ان يعرف ما يتضمَّنهُ هذا الكتاب الذي لا يقلّ عن ٥٣٠ صفحةً من كنوز المعلومات فليراجع فهارسهُ الوسعة في آخرهِ وينظر في ذيل صفحاتهِ عدد التآليف المخطوطة والمطبوعة التي راجعها لتأليفهِ ل.ش

**Vie de la Mère Marie-Madeleine Ponnet,** 1re Supérieure de la Visitation de Lyon-Vassieux. D. S. B., *Paris, P. Tequi*, 1921

ترجمة حياة رئيسة دير الزيارة في ليون الام ماري مادلين پونه

انَّ لله في هذا العالم مختاريهِ لا يكاد البشر يعرفونهم وانَّما حياتهم كعرف ذكيّ يتصاعد الى السماء فيسرّ قلب العليّ او كمحرقةٍ مقدَّسة يتنسَّمها الله بالرضى والقبول. وها نحن قد اطلعنا على ترجمة حياةٍ مثل هذه قد حوَّلت انظارنا عن اباطيل عالم البوار الى طبقات عالم القدس والبرارة التي لا تشعر بها النفس حتَّى تفوز بذاك السلام الذي يفوق كلّ حسٍّ وادراك. فنحضُّ كلَّ محبّ الحياة الروحيَّة من رهبان وراهبات وذوي تقًى وصلاح على قراءة هذا الكتاب فانَّهُ من أنعش الكتب للعيشة الصالحة وأبعثها الى محبَّة الخالق على مثال فتاةٍ اختصَّها الله منذ حداثتها بنعمهِ وجازاها لامانتها وثباتها في خدمتهِ بترقيتها الى اوج الكمال في رهبانيَّة الزيارة

**El-Bokhâri:** Les Traditions Islamiques traduites de L'arabe avec Notes et Index par O. Houdas, *T. IV. Paris. E. Leroux*, 1914, *in-8°, pp.* 673

حديث البخاري وترجمتهُ الى الافرنسيَّة

قد اجاد مكتب تعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة لعهده الى احد اساتذتهِ الافاضل المسيو هوداس بنشر طبعة حسنة من حديث البخاري مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويَّة وتعليق الحواشي عليها واضافة الفهارس اليها. وهذا الجزء هو الرابع من الترجمة وبهِ تمام العمل وما نجد الَّا تقدمة الشكر الى كلّ من سعى بهذا العمل الكبير متمنّين لهُ كلّ رواج. وهو بعد القرآن اجدرُ كتاب بالدرس لمعرفة الدين الاسلاميّ بين اهل السنَّة. على أنَّنا كنَّا نتمنَّى ان يجعل للكتاب فهرس آخر على طريقة حروف المعجم فان فهرس الفصول لا يفي بالمرام ونعلم انَّ حالة صحَّة المسيو هوداس ما سمحت له بذلك فان شاء الله ينوب عنهُ آخر في هذا العمل المفيد ل.ش

## منية القلوب في سيرة حبيس حوب

بقلم الاب لياوس داغر التنّوري اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص٣٩)

انّ يمين الله لم تقصر وعجائبهُ في خلائقهِ لم تنقص. فهذا راهب بارّ لم يكتفِ بأن يزهد بالدنيا ويلبس الاسكيم الرهباني بل اراد ان يتجرّد تماماً عن العالم ويعيش في محبتهِ تعالى عيشة ملائكيّة منقطعاً الى كلّ فرائض النسّاك وفضائلهم السامية فقضى في عزلتهِ ٥٥ سنة ممارساً لكل الاعمال القدسيّة الى ان مات في رائحة القداسة في ١ آب سنة ١٩١٦. فنشكر حضرة الاب لياوس داغر الذي لم يشأ ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فجمع من مآثره ما يحمل القرّاء على تمجيد الله في قديسيهِ ولاسيّما الذين عاشوا بيننا وعطّروا ارجاءنا بأريج قداستهم مثل رجل الله الاب مرقس التنوري كثّر الله امثالهم



ل. ش

## روضة العابد

صلوات ورياضات واناشيد روحيَّة منتخبة

جمعها الاب الياس جاره اليسوعي (طُبع بالاسكندريَّة)

قد رقيت الخورنيَّة الجبل بلا دنس المنشأة في الاسكندريَّة رقياً عظيماً بهمَّة حضرة

الاب الياس جباره اليسوعي مرشدها الغيور . ومن مآثره المشكورة لخدمتها هذا الكتاب الذي جمع فيه اخصّ ما يحتاج اليهِ ذوو التقى والعبادة في اجتماعاتهم الدينيَّة من صلوات مختلفة ورياضات روحيَّة واناشيد تقويَّة وطلبات وغير ذلك ممَّا يوجد مفرَّقًا في كتب شتَّى فصحَّت تسميتهُ بالروضة المطابق للمسمَّى فنحضُّ اهل العبادة ان يستنشقوا اريج زهورها وعرف انوارها ل.ش

# شذرات

﴿ سيادة المطران كير باسيليوس قطّان ﴾ تهنّئ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك الجليلة بقدوم حبرهم الجديد الذي تضاعفت بورودهِ افراح الاعياد الفصحيَّة. وقد صار لهُ من الاستقبال الدينيّ والمدنيّ ما لم يُعهد لهُ مثيلٌ سابقاً واتَّسعت في وصفهِ الجرائد المحلّيَّة. ولا غرو فانَّ قلوب اهل بيروت عشقتهُ قبل وصولهِ لِما بلغها من فضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ مع سرور قداسة الحبر الاعظم. باختيارهِ الى كرسي اساقفة بيروت على ملتهِ وثقة غبطة السيّد البطريرك دمتريوس القاضي بحسن تدبيرهِ وقد رأى جهود اللاقين بالعين قربَ تحقيق آمالهم اذ دخل كنيستهُ وفاه بذاك الخطاب البليغ الانيق الذي اوضح فيه نواياه المستطابة لرعاية ابرشيَّتهِ وقصدهُ لتضحية النفس والنفيس في سبيل نجاحها ورقيها فصانا نشاهد قريباً في شخصهِ الكريم تحقيق ما كتبهُ سميُّهُ العظيم القديس باسيليوس في الاسقف الكامل واثبتهُ فعلاً كما صوَّرهُ قولاً

﴿ السنة الاربعمائة لوفاة ماجلّان ﴾ في ٢٧ نيسان من السنة ١٥٢١ فقد العالم احد نوابغهِ الرحّالة فرنان دي ماجلّان الذي يحقّ لهُ ان يُعدّ بعد كرستوف كولمب اكبر محسن الى العالم القديم باكتشافهِ البوغاز الجامع بين البحرين اعني الاتلنتيكي والاوقيانوس الباسيفيكيّ او الهاديّ فعرف العالم بواسطتهِ استطاعتهُ من الدوران حول الكرة الارضيَّة ووقف على طريق جديد للسفر الى اليابان والصين والشرق الاقصى. كان مولد مجلّان في پورتو من اعمال البرتغال في ١٧ نيسان ١٤٧٠ من اسرة شريفة ونشأ

في بلاط الملكة اليونورا عقيلة الملك يوحنّا الثاني ثم في قصر الملك دون مانويل وكان مغرماً بالاسفار . فلمّا بلغ العشرين من عمرهِ سافر الى بلاد الهند وتنقّل في انحائها وتفقّد بعض جزائرها ودخل على ملوكها وسافر ايضاً الى افريقية . وكان في تلك الاثناء يجتمع بمشاهير النوتيّين ويأخذ عنهم معلوماتهم ويدوّن اخبار رحلهم ويرسم خوارط تلك البلاد حتّى ثبت له من بعض الدلائل وجود ممرّ او بوغاز يوصل الاوقيانوس الاتلنتيكي ببحار أخرى دعاها بعد ذلك بالاوقيانوس الهادي . وكان مدّة اقامتهِ في الهند تخرّج في كلّ آداب الملاحة وتدبير السُفن . فلمّا عاد الى وطنهِ لم يجد لدى الملك مانويل ماكان يؤمّلهُ من الجزاء عن اتعابهِ فقاطعهُ هذا العمل ولحق باسبانية سنة ١٥١٧ حيث عرض خدمتهُ على ملكها العظيم كرلوس الخامس (شرلكان) ليكتشف له بلاداً جديدة ويفتح لسفنهِ طريقاً يمكنها من التجوّل في البحار بدورة تامّة . فوقع الامر موقعاً حسناً لدى ذلك الملك البعيد الدارك فامدّهُ باسطول ذي خمس مراكب متوسّطة الحجم وكان على كلّ منها رجالٌ محنّكون بفنّ الملاحة مع عددٍ من النوتيين يبلغ نحو ٥٠٠ كان بينهم عشرة من الفرنسويين وبعض البلجكيين فخرج الاسطول من مرفأ سان لوكار في ٢٠ ايلول ١٥١٩ ثم ابحر متّجهاً الى اميركة الجنوبيّة فبلغ سواحل البرازيل ودخل ريو دي جانيرو المكتشفة حديثاً في ١٣ ك ١ سنة ١٥١٩ ثم توجّه الى الجنوب حتّى بلاد باتاغونية فلقي في طريقهِ عدّة مشقّات بسبب المجاعة والامراض واتواء البحر أنقمت عليهِ رؤساء المراكب الذين هيّجوا البحّارة على مجلّان وكاد يفشل في بعثتهِ لولا حزمهُ وكبحهُ معرّة الثوّار وحكمهِ باعدام بعضهم . وبعد اشهر قضاها يبحث عن الممرّ المقصود بين عدّة جزائر هناك ظفر اخيراً بمرامهِ فنفذ بسفنهِ الباقية بين طرف باتاغونية والجزيرة المعروفة بارض النار وذلك في ٢٧ تشرين الثاني ١٥٢٠ ثم اكتشف عدّة جزائر واطلق عليها اسماءها وواصل مسيرهُ الى ان بلغ جزائر فيلبين في اواسط آذار ١٥٢١ فنزل احدى جزائرها المدعوّة سبو فأحسن ملكها الدعو همدار استقبالهُ ورضي بمشورتهِ ان يتنصّر هو وشعبهُ فشيّد له مجلّان كنيسةً واقامهُ ملكاً على كلّ امراء تلك الانحاء فاعلن بعضهم الحرب على ملك سبو فانتصر لهُ مجلّان وسار لمحاربتهم بستّين من بحّارتهِ والاعداء الوفٌ مؤلّفة فنصبوا له مكيدةً ورموهُ بسهم ثم قتلوهُ في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . ولم يرجع الى اوربّة من تلك البعثة الّا

١٨ رجلًا . لكنَّ مجلان خلّد اسمهُ بين مشاهير نوابغ العصور وأغنى اسبانية بممالك واسعة وشرَّف الكنيسة بروح دينهِ ونشرهِ النصرانيّة لاوَّل مرَّة في جزائر اوقيانية

﴿ الماسونيّة في بيروت ﴾ قد حظيت الماسونيّة في بيروت في الشهرين السابقين بنعمتين باهرتين الاولى بانشاء محفل ماسوني جديد لأبناء الارملة افادتنا عنهُ المجلّة الماسونيّة لصاحبها سيد علي الحريري بمصر بما حرفهُ ( السنة الاولى عدد ١ ص ٩٧) :

## تثبيت محفل بيروت

تمَّ تثبيت المحترم رئيس محفل بيروت في حفلة شائقة جامعة للبهجة والصفاء الاخوي وقد حضرها حضرات الزوَّار يتقدَّمهم الاخوان الدكتور اسكندر بك بارودي والدكتور اسعد عقيش وموسى صاي ارواس وغيرهم وبعد اتمام تثبيت الاخ المحترم فضل الله ابو حلقة وباقي انوار المحفل ( نعم النريَّا ! ) وموظفيهِ وقف الاخ يوسف الحاج والقى كلمةً هنأ بها الرئيس وتلاهُ بعض الخطباء والشعراء وهم الاخوان الدكتور اسعد عقيش والدكتور اسكندر بك بارودي والمحترم موسى ارواس والاخوان الشيخ ابرهيم منذر وعزيز توما وعليّ ناصر الدين وغيرهم وقد اعرب جميعهم عن ثناء جميل على حضرة الاستاذ الاعظم ورجال المحفل الاكبر واعضاء موظفي محفل بيروت الى غير ذلك من المباحث الجليلة العائدة على الهيئة الاجتماعيّة بالنفع الجزيل (كذا . فما بالهم يخفون تلك المباحث وراء جدران المحفل أيستحون منها)

اما النعمة الثانية التي احرزها الماسون البيروتيّون فهي زيارة « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسوي الاخ الكلي الاحترام برزد ولموف » فبعد ان زار محافل مصر الماسونيّة في ١٦ فبراير شرَّف بيروت مارًّا فيها مرور البرق فاسرع الماسون الى استطلاع انوارهِ في ١٢ آذار ودونك الاعلان الذي نشرتهُ جريدة لسان الحال في ذلك اليوم

## اعلان

ان محفل بيروت رقم ٢٢٦ التابع للمحفل الاكبر الوطني المصري يدعو جميع الاخوان الماسون لحضور الحفلة التي سيقيمها في الدار الماسونيّة عند الساعة الرابعة في مساء اليوم ١٢ آذار سنة ١٩٣١ ترحيبًا بالاخ الكلي الاحترام برزد ولموف الاستاذ الأعظم المحفل الاكبر الفرنسوي

سكرتير محفل بيروت سليم يوسف نكري

فترى انَّ البنّائين الاحرار لا يزالون مغرمين بفنّ البناء السياسي واللاديني الذي نحن ندعوهُ باسمه خرابًا ودمارًا . ها قد مرَّ على الماسونيّة في بلادنا نحو ٨٠ سنة فليدلّنا اصحابها على مشروع واحد خيري او علميّ او ادبي قاموا بهِ

﴿معهد جديد لتربية الحشرات النافعة﴾ لما أُطلع قرأونا على المقالات المفيدة التي نشرها حضرة الاب اسكندر طوران العام الماضي في المشرق (١٨ : ٩٤١و٩٩٨) عن الحشرات النافعة المقاتلة للحشرات الضارَّة تمنَّوا لو يُنشأ معهدٌ يلتجئون اليهِ لطلب تلك الحشرات عند فشوّ الادواء في مزروعاتهم . وها قد تمَّ ذلك فعلاً ليس في اميركة فقط في انحاء كاليفورنية لكن في سواحل فرنسة الجنوبيَّة في مدينة منتون (Menton) وقد أُنشئ هذا المعهد بعد الحرب في العامَين الماضيَين . ومن جملة ما رُبّوا هنالك فاصاب نجاحاً تامًّا الحشرةُ الماكلة للدود الابيض المعدود بين اكبر آفات البساتين واسم هذه الحشرة العلمي (Cryptolœmus Montrouzieri) فهذه الدابَّة ما كادت تتناسل فتنمو حتَّى اخذت تلتهم بالمئات والالوف الدود الابيض والامل معقود انَّهُ لن يبقى منهُ اثر قريباً في جنوبيّ فرنسة

﴿كفر البولشفيين ومنكراتهم﴾ البولشفيون كبقيَّة اعداء الهيئة الاجتماعيَّة وجَّهوا اشدَّ ضرباتهم على الدين وارباب حيثما فاز سهمهم . فقد أطلعنا على ما نشرهُ احد رؤساء الكنيسة الروسيَّة في المجلَّة العموميَّة الفرنسويَّة في اواسط كانون الاوَّل المنصرم وهو سرجيوس دي شسين فذكر هناك الشرائع التي سنُّوها بحقّ الكنيسة فصرَّحوا عن رغبتهم في قتل كلّ روح دين في الشعب فانهم وضعوا يدهم على كل مقتنياتها وانكروا عليها كلّ سلطة في اقتناء الاملاك والوراثة والتعليم وعقد الزواج . دخلوا الكنائس ونهبوها ومزَّقوا صورها وكسَّروا صلبانها وحوَّلوها الى مسارح وعنابر ثمَّ طردوا الكهنة واضطرُّوا البعض منهم على كناسة الطرق والاشغال الشاقَّة حبسوا كثيرين منهم ومثَّلوا بهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً يستنكف القلم من وصفهِ حتَّى بلغ في سنة ١٩١٨ فقط عدد المطارنة والاساقفة الذين شنَّعوا بقتلهم اربعة عشر ما عدا الكهنة وبقية الاكليريكيّين . وقد سبق انَّ معظم زعماء البولشفيين يهود والباقون فرمسون . ومن هذا نرى انَّ زعماء الثورة واصحاب المشاغب والفتن واهل الفساد يجعلون اوَّل هدفٍ لسهامهم حيثما حلُّوا الدين ورؤساءهُ

﴿اصلاح غلط﴾ قد وقع في الصفحة ٢٠٨ س١١ غلط في تعيين المسافة بين مرعش وعوك دومي فكتبنا هناك «سبعة كيلومترات» والصواب «سبع ساعات»

# أسئلة وأجوبة

س سأل من القاهرة يوسف افندي مدوّر : ١ً هل تجوز الإحتفالات الدينيّة وكالقداس والرياحات على نور الكهرباء فقط دون الشمع ؟. ٢ً لماذا تستر الكنيسة اللاتينيّة الصور مدّة الاسبوعين السابقين لعيد الفصح ؟. ٣ً وما المقصود من تغطيتها بالالوان القاتمة ؟ . ٤ً لماذا تزيّن الهياكل في ذلك الوقت بوقوع عيد كبير

اسئلة طقسيّة

ج نجيب على الاوّل انّ المجمع المقدّس لا يعدّ النور الكهربائي بين الانوار الطقسيّة كالشمع والزيت وانّما يُسمَح بهِ للزينة فقط ومن ثمّ لا يجوز استعمالهُ على الهيكل في الرتب الكنسيّة . ونجيب على الثلثة الاسئلة الاخيرة انّ ستر الصور من شارات الحزن اللائق بالجمعتين المخصّصتين لذكر آلام السيّد المسيح . وكذلك الالوان القاتمة كالبنفسجيّ والاسود يوم جمعة الآلام . وامّا الاعياد الواقعة في تلك المدّة فيجوز فيها تزيين الهيكل فقط بالزهور ويوم الشعانين باغصان الزيتون او النخل ويوم خميس الاسرار يُبدل حجاب الصليب باللون الابيض تذكاراً لرسم سرّ القربان الأقدس

س سألت ربّة بيت ما هي اقرب وسيلة لتنظيف الزجاج

تنظيف الزجاج

ج هذه طريقة سهلة لتنظيف الزجاج تُسكَب ملعقة خلّ في ليتر من الماء ثمّ يُمسح الزجاج بورق الجرائد ثمّ ينشف بورق آخر نظيف فيصبح الزجاج شفّافاً نظيفاً لان وسخ الزجاج عادةً من دقائق الاجسام الكلسيّة فيمتصّها الخلّ

س سُئلنا اذا وقع عيد بشارة العذراء في يوم جمعة الآلام هل يلزم البطالة فيهِ ؟

وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام

ج معلوم انّ الكنيسة اللاتينيّة تنقل الاعياد الكبيرة الواقعة في كلّ اسبوع الآلام الى ما بعد الفصح . امّا الكنائس الشرقيّة فانّ العادة الجارية سابقاً كانت عدم نقل الاعياد حتى في يوم جمعة الآلام على انّ بعض رؤساء هذه الكنائس وجدوا بين الاحتفال بعيد البشارة واحزان يوم جمعة الآلام بعض التناقض فرأوا نقل هذا العيد واشار الى ذلك الطيّب الذكر السيّد جرمانوس معقّد في المنار . لكنّ الامر حتى الآن لم يقرّر نهائيّاً بتقرير رسميّ

ل . ش